

البغايا في المجتمع العراقي القديم بين الحقيقة والافتراء Prostitutes in Iraq Society between Reality and Mirage

د/لبنى حسين السيد حسن
مدرس تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب – جامعة العريش

الملخص:

تعرضت المرأة العراقية لظلمٍ بيّن باتهامها باقترافها للبغاء كظاهرة شائعة بالعراق القديم، وقد استند أصحاب هذا الاتهام في حثثيات مزاعمهم دون تمحيص أو تدقيق إلى ركيّزتين أساسيتين؛ تكمن أولهما في زعمهم أن انتشار تلك الظاهرة يرجع إلى كونها أمرًا ملزمًا يمثل طقسًا دينيًا تمارسه المرأة اقتداءً بما ورد بالميثولوجيا العراقية من مجون وفجور لربّاتهن، وخاصة عشتار ربة الجمال والجنس ذات السفور الجنسي الفاضح في فنونهم القديمة، أما الركيّزة الأخرى التي استندوا إليها فيما ذكروه بشيوع ظاهرة البغاء وعمومها بالعراق القديم فتعتمد على ما ذكره هيرودوت بصفة خاصة كشاهد عيان لديهم على ممارسة كل نساء العراق القديم بكل طوائفهن لتلك الفاحشة دون استثناء.

والمتمائل لتلك الحثثيات السالفة بصفة عامة يجدها تفتقر تمامًا إلى الأدلة التاريخية والأثرية الدامغة التي تؤكد وتبرهن على براءة المرأة العراقية القديمة من هذا الاتهام الجائر، وتكمن تلك الأدلة في الآتي:

- ١- انتفاء سمة البغاء عن عشتار وكاهنتها وسائر الإلهات العراقيات الأخريات أيضًا بكل من المصادر المسمارية والأثرية.
- ٢- افتقار إدعاء هيرودوت باتهامه للمرأة العراقية القديمة بالبغاء إلى الموضوعية النامة لاسيما أنه الوحيد الذي زعم ذلك في كتاباته من بين سائر المؤرخين الكلاسيكيين فضلًا عن أن هناك من يرى أنه لم يزر بلاد العراق أصلًا، وأن اتهامه هذا قائمٌ على أخبار شفاهية وصلت إلى مسامعه وتخلو من الدقة التاريخية.
- ٣- تشديد القوانين العراقية القديمة دون استثناء على جميع مظاهر العفة والعفاف وتشديدها في العديد من موادها على العقوبات التي تصل للموت على كل من تراوده نفسه لممارسة البغاء بكافة أشكاله وأصنافه.
- ٤- محاربة الأعراف العراقية القديمة للبغاء وأهله والدعوة إلى تجنب البغايا واحتقارهم اجتماعيًا.

كلمات مفتاحية:

البغايا، السفور الجنسي، المرأة، عشتار، هيرودوت، الأنثيتوم، الناديتوم، القوانين، حمورابي.

Summary

Iraqi women were subjected to injustice by being accused of engaging in prostitution, as it was a common phenomenon in ancient Iraqi society. The authors of this response based the merits of their accusation without scrutiny on two basic pillars. The first of them was able to claim that the spread of this phenomenon is due to its being an obligatory matter such as a religious ritual practiced by women following the example of what was mentioned in Iraqi mythology of immorality and it due to their leadership. Especially Istar, the goddess of the beauty and sex who was sexually explicit in their ancient arts. As for the other pillar on which they relied in what they mentioned the phenomenon of prostitutes was wide spread throughout ancient Iraq. It relies on what Herodotus mentioned in particular as an eye witness to the fact that women in ancient Iraq, in all their sects practiced this in decency without exception. However, those who consider the above facts will find that they completely lack historical evidence, which in turn confirms beyond doubt the innocence of the ancient Iraqi woman from this unjust accusation, and that evidence enables the following:

- 1- the absence of the attribute of prostitution in Ishtar, her priesthood and all other Iraqi deities as well, in both heavenly and Iraqi Sources.
- 2- Herodotus's Claim that he accused the ancient Iraqi woman of prostitution lacks complete objectivity, especially since he is the only one who claimed this in his writings among all the classical historians. Moreover, there are those who believe that he didn't even visit the country of Iraq and that accusation is based on oral reports that reached his ears and devoid of historical accuracy.
- 3- the old Iraqi laws, without exception, tightened all manifestations of chastity and, tightened in many of their articles, the penalties that reach death for anyone who dares to engage in prostitution in all its forms and types.
- 4- Fighting the old Iraqi customs of prostitution and its people and calling for avoiding prostitutes and despising them socially.

Key words:-

Prostitutes, Sexual debauchery, Woman, Ishtar, Herodotus, Inanatum, Nadinatum, Laws, Hammurabi.

التمهيد:

يعدُّ البغاء^(١)، أو بيع الجسد من أقدم الممارسات في التاريخ التي امتهنتها المرأة من أجل لقمة العيش وتلبية الاحتياجات الحياتية واستجابة أحياناً لرغباتها الجنسية، وقد عرفته سائر شعوب الشرق الأدنى القديم عبر مختلف بلدانهم، ولكنه لم يتجاوز بأية حال من الأحوال كونه مجرد سلوكيات فردية شاذة أكثر من كونه ظاهرة عامة واسعة الانتشار؛ لما عرف عن تلك الشعوب من رقي حضاري كبير يشهد عليه إبداعاتهم الواسعة في مختلف أوجه وميادين الثقافة والفنون والعمارة التي بفضلها تأسست الحضارة الحديثة؛ ولذا فليس غريباً على هذه الشعوب أن تتجنب بروعة قيمهم الأخلاقية وأعرافهم وتقاليدهم وقوانينهم الاجتماعية والدينية لمثل ذلك الانحراف الجنسي للمرأة الذي تأباه وتأنفه فطرتهم الإنسانية، ويؤكد ذلك ويدعمه -دون شك- تلك المكانة المتميزة التي نالتها المرأة بسائر تلك المجتمعات الشرقية القديمة، والتي تعززت وازدادت رسوخاً على مر العصور والأزمان، ولاسيما وأن منطقة الشرق الأدنى القديم كانت مهبطاً للأديان السماوية الثلاثة، والتي حفظت وصانت المرأة والمجتمع من تلك الآفة المدمرة، ويتجلي ذلك في قوله تعالى: "... ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

على الرغم من هذا فإن بعض المؤرخين القدماء والمحدثين قد هاجموا المرأة في تلك المنطقة بضرارة وافتراء بالغ، متهمين إياها باحتراف البغاء كمهنة حياتية وبخاصة المرأة العراقية القديمة بعينها، متجاهلين في هذا دورها البارز بجانب الرجال الذي يشهد عليه تاريخها في صنع الحضارة العراقية القديمة التي تعد وبدون مبالغة بجانب الحضارة المصرية من أعظم حضارات العالم القديم على الإطلاق؛ إذ تذخر المصادر المسمارية بالكثير من النماذج المشرفة لنساء عراقيات عظماء أسهمن بقوة واقتدار في صرح مجد بلادهم العتيق، ومنهن على سبيل المثال الملكة السومارية "كوبايا" (٢٤٢٠ ق.م تقريباً) التي اعتلت عرش دولة كيش وإدارتها بمفردها بحكمة بالغة لمدة ثلاثين عاماً دون مشاركة من زوجها وابنها^(٣)، وكذلك الملكة "شيببتو" زوجة الملك "زمرى ليم" حاكم دولة ماري (١٧٨٢-١٧٦٠ ق.م) التي كانت خير معين له في إدارته السياسية وحسن معاملة الرعية^(٤)،

(١) البغاء هو الفجور والزنا، وهو مصدر؛ فيقال: بَغَتْ المرأة بَغَاءً؛ أي: زَنَتْ، والبَغْيُ هي الفاجرة والجمع بَغَايا، خُرَّة كانت أو أمة، والبغاء هو وصف مختص بالمرأة، ولا يقال للرجل بَغْيٌ، وجاء في التنازل: "وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا" [سورة مريم- ٢٨]؛ أي: وما كانت أمك فاجرة أو زانية. للمزيد انظر: محمد بن مكرم بن علي بن منظور المصري الإفريقي، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، م ١، دار المعارف، مصر، دون تاريخ، ص ٣٢٢؛ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، ج ١٩، إصدار: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ١٩٨٠، ص ٢٠٦؛ أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، ط ٣، دار المعارف، مصر، ٢٠١٩، ص ٥٧.

(٢) سورة النور - [الآية ٣٣].

(٣) دعاء محسن علي اللامي، حقوق المرأة ومكانتها في مجتمع العراق القديم، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، المجلد (٨)، العدد (٤)، ٢٠١٨، ص ٤٥٥.

(4) Kaur, J., Ancient Mesopotamia, Remjas Collage, Delhi, 2020, pp.9-10.

وأيضاً في هذا الصدد لا يمكن بأية حال من الأحوال تجاهل الملكة الآشورية الشهيرة "شمورمات" (سميراميس) زوجة الملك الآشوري "شمشي أدد الخامس" (٨٢٣ - ٨١٠ ق.م) التي أدارت بعد وفاة زوجها الإمبراطورية الآشورية المتزامنة الأطراف لمدة خمس سنوات بحزمٍ واقتدارٍ منقطع النظير^(١).

ويوجد الكثير من النماذج النسائية الأخرى التي تشهد جميعها على عظمة المرأة العراقية القديمة، التي تسمو عن ذلك الاتهام الرخيص من قلة من المؤرخين المحدثين المستندين في ذلك وبدون تمحيصٍ وتدقيقٍ لافتراءات كلاسيكية تقتقر إلى الموضوعية وأدلة تاريخية منافية^(٢)، ويمكن استعراض تلك الافتراءات والرد عليها في الآتي:

حيثيات الاتهام بشيوع ظاهرة البغاء وعمومها اجتماعياً:

اعتمد أصحاب ذلك الاتهام في مزاعمهم بشيوع ظاهرة البغايا قديماً في بلاد النهرين على كونها ذات حضارة ذكورية ؛ تلزم المرأة خلالها على الخضوع التام لرغبات الرجل ومتعته الجنسية مستعينين في اتهامهم هذا على ركيزتين أساسيتين؛ تكمن أولهما كما يعتقدون بأن البغاء وما صاحبه من سفورٍ جنسيٍّ وغير ذلك، يمثل في حد ذاته ركناً أساسياً في المعتقدات الدينية لشعوب تلك المنطقة ، أما الركيزة الثانية التي استندوا إليها أيضاً اعتمادهم على ما نقلوه من كتابات بعض المؤرخين الكلاسيك باتهام كل نساء العراق بسائر طوائفهم بممارسة فاحشة البغاء.

١ - اقتداء النساء العراقيات دينياً ببغاء رباتهن:

اصطبغ ظهور ظاهرة البغايا وشيوعها بالمجتمع العراقي القديم لدى أصحاب هذا الاتهام بمسحة دينية، اعتمد فحواها على تخصيص العراقي القديم للبغاء عامة إلى أكبر وأشهر رباته على الإطلاق، والمنتمية إلى الآلهة السبعة الكبار المعروفة لديه باسم "الأنوناكي"^(٣)، والتي

(١) رقيب حسون عبودي سعودي، دور المرأة في المجتمع العراقي القديم، مجلة الخليج العربي، المجلد (٥٠)، العدد (٤)، كانون الأول، ٢٠٢٢م، ص ٤٦ - ٤٨؛ عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم (موجز التاريخ الحضاري)، الجزء الثاني، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩٣، ص ٤٣؛ علي القيم، المرأة في حضارات الشام القديمة، ط ٢، دمشق، ١٩٩٧، ص ١٧٨. أيضاً: Stol, M., women in the Ancient Near, Boston -Berlin, 2016, pp.11-12.

(٢) برهان الدين دلو، حضارة مصر والعراق (التاريخ الاقتصادي - الاجتماعي - الثقافي والسياسي)، ط ١، بيروت، ١٩٨٩، ص ٢٨٧؛ ل. ديلايورث، بلاد ما بين النهرين (الحضارتان البابلية والآشورية)، ترجمة: محرم كمال، مراجعة: د/ عبد المنعم أبو بكر، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧، ص ٩٢. أيضاً: Dijk, V., Combes, R. M., "Lady of battle, his beloved spouse", DWDO, Bd. 50, H. 1, 2020, p.171; laoutides, E.A., Charles, M.B., "Herodotus on Sacred Marriage and Sacred prostitution at Babylon", Kernos Revue internationale et pluridisciplinaire de religion grecque antique, Varia, 2018, p. 9; Kaur, J., Ancient Mesopotamia, p.12.

(٣) عرفت الآلهة السبعة الكبار باسم الأنوناكي، وذلك تمييزاً عن الآلهة الثانوية المعروفة بـ "الإيجي"، وتلك الآلهة السبعة الكبار هم: "آن (إله السماء)، إنليل (إله الهواء)، إنكي (إله المياه الجوفية، ورب الحكمة)، أرشيكجال (ملكة العالم السفلي)، ونانا (إله القمر)، أوتو (إله الشمس)، إنانا (ربة الحب والجمال والجنس)

تمثلت عند السومريين في الربة "إنانا" إلهة الجمال والجنس^(١)، والمعروفة بسائر الحضارات السامية ببلاد النهرين باسم "عشتار"^(٢)، وقد صوروها على هيئة امرأة بارعة الجمال ذات سفورٍ جنسيٍّ صارخٍ يبدو واضحاً فيما عُثر عليه من قطع أثرية كثيرة مرتبطة بتلك الربة، ومنها على سبيل المثال وليس الحصر ذلك التمثال البابليّ المصور كما بالشكل (رقم ١)، والذي تجسدت خلاله بهيئة فتاة جميلة عارية ذات قوامٍ ممشوق، وعينين مشرقيتين، ويدين مطروحتين على الثديين، وكأنها تقوم بتدليكهما^(٣)، فضلاً عن ذلك فقد صُوِّرت أيضاً بشكلٍ أكثر مبالغة في إبراز سفورها الجنسي على الكثير من الأختام العراقية القديمة الواضحة بالشكل (رقم ٢)، المصورة على أحد الأختام التي عُثر عليها بأور، بل الأكثر من ذلك أن السبب في تغيير الساميين لاسمها السومري إنانا إلى عشتار، منذ بواكير حضاراتهم بالعراق وتحديداً إلى العصر الأكادي (٢٣٧٠-٢٢٣٠ ق.م)، كان إمعاناً مقصوداً منهم في إضفاء المزيد من الجنس عليها، فاسم عشتار يتكون لديهم من لفظتين يشيران إلى دعائم العملية الجنسية ذاتها هما "كيش- دار" أو "كشدار"؛ فكلمة "كيش" تعني: "العضو الذكري" في حين "دار" تعني الشق أو القطع^(٤)، ولذا ليس من الغريب أن تكتظ الميثولوجيا العراقية بصفة خاصة والمرتبطة بتلك الربة، بعباراتٍ جنسيةٍ صارخة وردت على لسانها تفوح بالبغياء الجنسي كالتى جاءت بأسطورة "إنانا وديموزي"، ومنها على سبيل المثال ما نصه^(٥):

- إن فرجي كقرن الهلال،

- إن فرجي كقارب السماء،

- وأرضي متروكة دون حرب،

- فمن لي، أنا إنانا،

والحرب والقتال): للمزيد انظر: السيد محمد السعيد عبد الله، صفحات مطوية من تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الحكمة، القاهرة، ٢٠١٩ م، ص ٥٠-٥٢؛ أيضاً:

Kramer, S.N., the Sumerians, 2nd. ed. , Chicago, 1964, pp. 122-123.

(١) فاضل عبد الواحد علي، عشتار ومأساة ديموزي، ط١، دمشق، ١٩٩٩ م، ص ٣٥.

(2) Bill, t.A., Who Were the BaBylonians? , "Archaeology and Biblical Studies" , Boston, 2005, p.24.

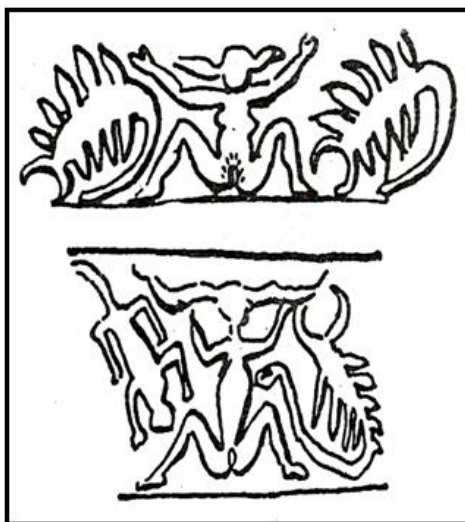
(٣) فراس السواح، لغز عشتار، ص ٥٢.

(4) Westenholz, J.G., Goddesses of the Ancient Near East 3000 -1000BC. "Ancient Goddesses, British Museum Press, 1998, p.73

(٥) فراس السواح، الأسطورة والمعنى، ط٢، دمشق، ٢٠٠١، ص ١٥٢-١٥٣.

- فمن يحرق لي فرجي؟

- من يفلح لي حقلي؟



شكل (رقم ٢) (٢)



شكل (رقم ١) (١)

لم تقتصر مزاعم ذلك الاتهام بالبغياء وتشجيعه من عشتار أكبر ربات العراق والمنتمية للآلهة السبعة الكبار، بل امتدت تلك الافتراءات بشكلٍ غريبٍ إلى كاهنة تلك الربة ذاتها الربة المعروفة باسم "الأنيثوم"؛ إذ اتهموها هي الأخرى بالبغياء في ظلّ مسحةٍ دينيةٍ مقدسةٍ، من خلال مزاعمهم عن ممارستها للبغياء مع الملك نفسه كممثلة لربتها عشتار، وذلك عبر مشهدٍ تمثيليٍّ يظهر خلاله الملك وهو يضاجعها كمثل للآلهة ديموزي حبيب عشتار (٣)، واستند أصحاب هذا الاتهام إلى ما أورده هيرودوت (٤٨٤-٤٢٥ ق.م) في هذا الشأن فيما ذكره بأن تلك الفاحشة كانت تتم بمبني عالٍ ذكره باسم "برج بابل"، وذلك داخل غرفةٍ واسعةٍ أعلاه تحوي سريرًا لهذا الغرض ويدعم أصحاب هذا الاتهام من خلال ما عُثر عليه بالفعل على لوحةٍ أثريةٍ تُظهر الملك بجوار تلك الكاهنة فوق هذا السرير (٤)، وذلك يتضح جليًا بالشكل (رقم ٣)، واشتقوا من

(١) نقلا عن: فراس السواح، لغز عشتار (الآلهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة)، ط٨، دمشق، ٢٠٠٢ م، ص ٥٢؛ ثروت عكاشة، تاريخ الفن (الفن العراقي القديم سومر وبابل وأشور)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بغداد، ١٩٧١، ص ٤٧.

(٢) نقلا عن: محمد السيد عبد الحميد، "وظيفة الكاهنة ودورها في المجتمع العراقي القديم"، الملتقى الرابع للآثاريين العرب، ٢٧-٢٩ أكتوبر، القاهرة، ٢٠٠١ م، ص ٤٠٥؛ خزعل الماجدي، متون سومر (الكتاب الأول التاريخ الميثولوجيا الاهوت الطقوس)، ط١، عمان، ١٩٩٨ م، ص ٢١٦.

(3) Weeden, M., types of lover and types of love-poetry in Akkadian from the third and Second millennia BC, SOAS, London, 2011, p.19; Dijk, V., Combes, R, M, "Lady of battle, his beloved spouse", p.168.

(4) Herodotus, Translated by Godley, A.D., vol. I, BK. I, No. 181, London, 1975, p.225. also: فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة ديموزي، ص ١١٧.

الميثولوجيا العراقية عبارات مفحمةً جنسيًا كانت تنشدها تلك الكاهنة اثناء تلك المضاجعة جاء بها ما نصه^(١):

- بعد أن أستحم من أجل السيد، من أجل الثور،
- بعد أن أزين أعطافي بـ ...،
- بعد أن أطلي بالعنبر ثغري،
- بعد أن أكحل بالإثمد عيني،
- بعد أن يدلك خصري بكفيه المليحتين،
- بعد أن يمسد حضني باللبن والقشدة،
- بعد أن يضع يده على فرجي،



شكل رقم (٣) (٢)

والجدير بالذكر في هذا الصدد أن الاتهام بالبغاء لم يقتصر على الأنيتوم كاهنة عشتار فحسب؛ بل أمتد أيضًا إلى إحدى الكاهنات الكبار ذات الثقل الواضح والمتميز في المعتقد

(١) فراس السواح، الأسطورة والمعنى، ص ١٥٧.

(٢) نقلا عن:

Black, J. and Green, A., Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, British Museum Press, 1992, p.157 ; Stuckey, J., Inanna and the "Sacred Marriage", Cross-Quarterly for the Goddess Woman, vol.4-2, 2005, p.1-6; Black, J. and Green, A., The Literature of Ancient Sumer, Oxford University Press, New York, 2004, p.90

العراقيّ القديم والمعروفة باسم الناديتوم، ورغم أن تلك الكاهنة لم تكن مرتبطة بعشتار مثل نظيرتها الأنيثوم، غير أن اتهامها بممارسة تلك الفاحشة يعني إضفاء الصفة الدينية على البغاء بأرض العراق عامة؛ إذ زعموا أن تلك الكاهنة كان مصرح لها بممارسة البغاء نظير مبلغٍ من المال داخل بيوتٍ مخصصةٍ للدعارة تعرف باسم الكاكو (Gagu)^(١).

هذا وقد امتدت كذلك أصابع اتهاماتهم لربات عرقيات أخريات ينتمين أيضاً إلى الآلهة السبعة الكبار، ومنهن على سبيل المثال ربة العالم السفلي الملكة "أريشكيغال"^(٢)، وذلك من خلال ما ورد في أسطورة حبها من إله يدعى "رجال"، عبر عباراتٍ مفحمة بالجنس مقطوعةٍ عن قصد منهم لاتهامها بالبغاء مع ذلك الإله، وقد ورد هذا بما نصه^(٣):

- تعانق الإثنان،
- وذهبا إلى السرير بولع،
- اضطجعا هناك الملكة أريشكيغال وإيرا (رجال) ليوم أول وليوم ثانٍ،
- اضطجعا هناك الملكة أريشكيغال وإيرا ليوم ثالثٍ وليوم رابع،
- اضطجعا هناك الملكة أريشكيغال وإيرا ليوم خامسٍ وليوم سادسٍ.

٢ - شهادة هيرودوت بشيوع ظاهرة البغاء وعمومها اجتماعياً:

اتهم المؤرخون الكلاسيكيون وبخاصة هيرودوت النساء العراقيات بمختلف طبقاتهم بشيوع البغاء لديهن كظاهرة عامة وسط ترحيبٍ اجتماعيٍّ كبيرٍ، ويتجلى ذلك من خلال كتاباته في هذا الشأن عما كان يتحتم على كل امرأة عراقيةٍ تبلغ الحلم في بابلٍ (التي تعد أكبر حواضر العراق القديم على الإطلاق أن تُجبر على ممارسة البغاء) بأن تقدم جسدها وعذريتها إلى أول رجلٍ غريبٍ يطلب منها ذلك تقريباً وإرضاءً للربة عشتار؛ لكون بكارة المرأة - كما يظن أصحاب هذا الاتهام - كانت ملك لتلك الربة لا للزوج المقبل^(٤)، إذ يذكر بأنه في عيد تلك الربة كانت النساء يجلسن في فناء معبدها ينتظرن لأحد الغريباء يلقي إليها بقطعة فضية في حضنها، لتصاحبه معه في مكان مخصصٍ داخل المعبد من أجل هذا الغرض، وكان لا يستثنى من ذلك الثريات

(١) رضا جواد الهاشمي، النظام الكهنوتي في العراق القديم، مجلة الآداب، المجلد الأول، العدد (١٤)، بغداد، ١٩٧٢، ص ٢٦٣.

(2) Broekema, H., Inanna, lady of Heaven and Earh (History of Asumerian Goddess), publisher. uitgeverij Elikser, Leeuwarden, 2014, P.419 ; Hunt, N. B., living in Ancient Mesopotamia, New york, 2009, p.46 ; Kramer, S.N., The Sumerians, Their History, Culture and Character, Chicago press, London, 1963, p.153., also:

سليمان طه التكريتي، أساطير بابلية، مراجعة: زكي الجابر، بغداد، ١٩٧٢، ص ٥٢.

(٣) ستيفاني دالي، أساطير من بلاد ما بين النهرين (الخليقة، الطوفان، كلكامش وغيرها)، ترجمة: نجوى نصر، ط١، بيروت، ١٩٩٧، ص ٢٠٩. أيضاً: Foster, R. B., An Anthology of Akkadian literature, vol. 1, CDL press, Bethesda, Maryland, 1996, p.423.

(٤) فراس سواح، لغز عشتار، ص ٤٠.

وصاحبات النفوذ اللاتي كنّ تأتين أيضاً إلى المعبد على عربيات فخمة يتبعن الخدم والعبيد، ويتزيّن بعقودٍ من اللؤلؤ النفيس؛ لتمييزهن عن غيرهنّ من النساء، وقد وصّف هذا الحدث هيرودوت فيما نصه^(١): "هناك عادةً مخجلةً تماماً بين هؤلاء القوم، وهي أن كل امرأة ولدت في بابل، كان عليها أن تذهب مرةً في حياتها إلى معبد أفروديت (عشتار) فتسلم نفسها هناك لرجل غريب، والكثيرات من النساء الثريات اللواتي يترفعن عن الاختلاط بالأخريات، ويذهبن إلى المعبد في عربةٍ مغطاةٍ، ومعهن حاشية من الخدم تتبعهن ثم ينتظرن هناك... وبين مجلسهن جميعاً توجد ممرات مخططة في كل الاتجاهات للرجال كي يمرّوا ويختاروا من بينهنّ، وعندما تأخذ المرأة مجلسها لا يبقى مسموحاً لها بالعودة إلى البيت حتى يلقي أحد الرجال قطعة من الفضة في حضنها ويقودها إلى الخارج ليضطجع معها، ويكون عليه وهو يلقي قطعة الفضة أن يقول: "باسم الإلهة "ميليتا" (عشتار المولودة)، وهو الاسم الآشوري لأفروديت، ولا أهمية لقيمة القطعة النقدية؛ لأنه بمجرد أن تلقي للمرأة تصبح مقدسة، ويمنع القانون رفضها منعاً مطلقاً ولا يكون للمرأة حتى حق الاختيار، لأنّ عليها أن تذهب مع أول رجل يلقي لها النقود، وعندما تضطجع معه تكون قد أدت واجبها للآلهة، ويمكنها عندئذٍ العودة إلى بيتها، بحيث يغدو من المستحيل إغراؤها بأي مبلغ مهما يكن ضخماً، والنساء الطويلات الرشيقات يعدن سريعاً إلى البيت، في حين البشعات يبقين زمناً طويلاً قبل أن ينجزن فرضهن الذي يوجبهن القانون، وبعضهن في الواقع، يبقين حتى ثلاث سنوات أو أربع".

حيثيات تبرئة المرأة العراقية من البغاء والرد علي الافتراءات:

إنّ المجتمع العراقيّ برقيّه الحضاريّ الممتد من أواخر الألف الرابع قبل الميلاد برئ من تلك الاتهامات سالفة الذكر، وشأنه في ذلك بقية مجتمعات وشعوب الشرق الأدنى القديم التي تأنف وبإيباء بالغ تلك الفاحشة، وإن كان هذا لا يمنع من انعدام وجودها ولكن بقدر محدود؛ إذ لا يوجد مجتمع ملائكيّ قديماً أو حتى حديثاً يخلو من وجود البغاء والبغايا^(٢)، وهناك العديد من الحيثيات التاريخية والأثرية التي تنفي تلك الاتهامات عن ذلك المجتمع، تتمثل في الآتي:

أولاً: انتفاء سمة البغاء عن عشتار وكاهنتها وسائر الآلهات تاريخياً وأثرياً:

تشير سائر المصادر العراقية القديمة سواء أكانت تاريخية أم أثرية إلى تنزيه المعتقد العراقيّ القديم لرباته خاصة عشتار من سمة البغاء، وجعلها تسمو على سائر الاتهامات السالفة المرتبطة بمظاهر البغاء كالسفور الجنسيّ وتشجيع النساء لهذه الفاحشة؛ فبالنسبة إلى الاتهام الأول فإنّ سفورها وخاصة كشف الثديين، ما هو في الحقيقة إلا مظهر دينيّ يقترن في جذوره

(1) Macaulay, G.C., The History of Herodotus, Vol. 1, New York, 2001, p.46; laoutides, E.A., Charles, M.B., "Herodotus on Sacred Marriage and Sacred prostitution at Babylon", p.7-8.

(2) laoutides, E.A., Charles, M.B., "Herodotus on Sacred Marriage and Sacred prostitution at Babylon", p.3.

بخاصية الخصوبة والتكاثر^(١)، أمّا اتهامها الآخر بتشجيع النساء للبغاء فهذا يتنافى تماماً مع الميثولوجيا العراقية الخاصة بتلك الربة، وذلك ينطبق على باقي الأرباب التي تدعو جميعها إلى العفة ومعاقبة مرتكبي تلك الفاحشة، وذلك يتضح فيما يأتي:

١ - ارتباط السفور الجنسي العشتاري بخاصية الخصوبة:

ارتبط السفور الجنسي بخاصية الخصوبة في المعتقد العراقي القديم لاسيما لدى الربة عشتار، وذلك بحكم كونها ربة الجمال والجنس المسئولة عن التكاثر الذي بدوره يؤدي إلى استمرارية الحياة وتجدها، ويلاحظ أن اسم عشتار نفسه مشتق من الجذر البابلي "عثر" الذي يعني خصّب^(٢)، ولعل ما يؤكد هذا ويدعمه ما ورد بالميثولوجيا المتعلقة بتلك الربة، وخصوصاً ما جاء في الأسطورة السومرية المعروفة بـ "نزول عشتار إلى العالم السفلي"^(٣)، التي يتضح من أحداثها أنه بموت تلك الربة في هذا العالم -كما ورد بتلك الأسطورة- توقفت بشكل تام كل مظاهر الخصوبة، وذلك طبقاً لما ورد في هذا الخصوص بما نصه: "لم يعد الثور يقفز على البقرة، ولا الجحش يحمل أتاناً، ولا يخصب الرجل الصبية"^(٤)، بل الأكثر من هذا أيضاً فقد امتدت تلك الخصوبة العشتارية بهذا الفكر العراقي، إلى الحياة النباتية هي الأخرى في ازدهارها وخصوبتها، ويتجلى ذلك في مواطن نصية عديدة، ولعل من أبرزها تلك الترنيمة الواردة على لسان "شولجي" (٢٠٩٤ - ٢٠٤٧ ق.م) ملك أور الثالثة الذي يتضرع خلالها لكاينة الإنيتوم أكبر كاهنات تلك الربة والممثلة لها أثناء أدائها معه لشعيرة الزواج المقدس، بأن تنعم على البشر بازدهار الحقول والبساتين، ولم يكتفِ هذا الملك بذلك بل أخذ يتوسل إليها -خلال تلك الترنيمة- بأن تضيفي على الفواكه والنباتات حلاوة الطعم ولذة المذاق، وذلك استناداً إلى ما ورد بالسطر (رقم ١٨) بما نصه: "أتضرع إليك بأن تتحلى النباتات بالمذاق العسلي"^(٥).

من أجل هذا فليس غريباً أن يُركز الفنان العراقي القديم في صنعه لتمثيل تلك الربة على إبراز مواطن الخصوبة بها ولاسيما الثديين بصفة خاصة؛ إذ تكرر ظهورها -كما أشير سالفاً- في وضعية إمساك تلك الربة لثدييها العاريين، والجدير بالذكر أن هذا الأمر لم يكن مقصوراً على بلاد النهرين فقط، بل امتد لمناطق أخرى عديدة من الشرق الأدنى القديم وبشكل

(١) فاضل عبد الواحد علي، عشتار ومأساة دموزي، ص ١٩.

(2) Westenholz, J.G., Goddesses of the Ancient Near East 3000-1000BC, p.73.

السيد محمد السعيد عبد الله، صفحات مطوية من تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ٧٨. also:

(٣) ستيفاني دالي، أساطير من بلاد ما بين النهرين، ص ٧٠.

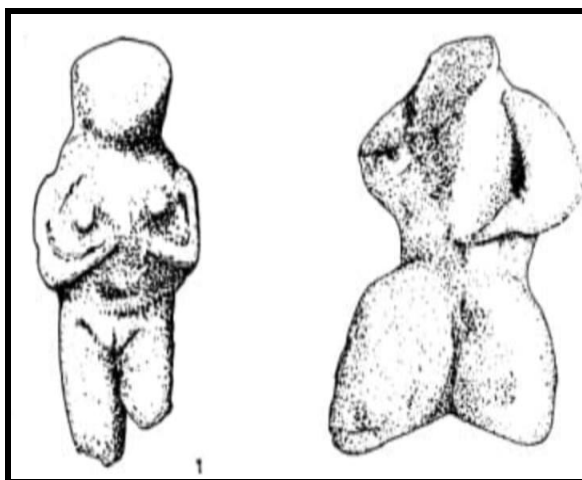
(٤) فاضل عبد الواحد علي، من سومر إلى التوراة، ط ٢، ١٩٩٦، ص ١٦٦-١٦٧؛ سليمان طه التكريتي،

أساطير بابلية، ص ٩٩. أيضاً: Foster, R. B., An Anthology of Akkadian literature, p.406.

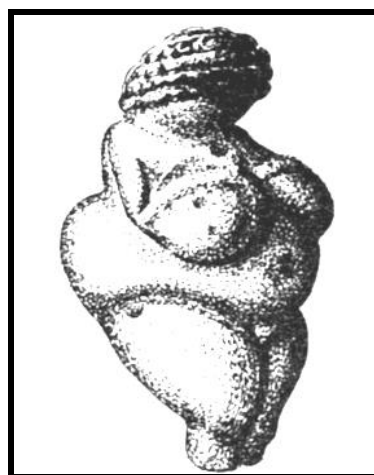
(5) Kramer, S.N., "Inanna and Sulgi: A Sumerian Fertility Song", Iraq, vol. 31, No. I, British Institute for the study of Iraq, (Spring 1969), pp. 21-22.

متشابه إلى حد كبير، ومنها على سبيل المثال هذين التمثالين اللذين عُثِرَ عليهما في سورية لتلك الربة والمعروفة هناك باسم "عشتروت"، وهي بذلك الوضع العشتاري بأمسك ثدييها العاريين كما في الشكل (رقم ٤)، ومن المرجح أن ذلك الاعتقاد في اقتران السفور الجنسي العشتاري بالخصوبة يعود لأصول قديمة ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ في بلاد العراق القديم، ويؤكد ذلك ويدعمه ما عُثِرَ عليه من تماثيل لنساء عاريات تعتمد خلالها الفنان العراقي القديم على إبراز الثديين بشكل كبير ولافت للانتباه، ويبدو ذلك واضحاً بالشكل (رقم ٥)، وهذا أيضاً يتفق تماماً مع ما ورد في الميثولوجيا من اقتران الثديين بصفة خاصة بالخصوبة، ولعل ذلك ظهر واضحاً عبر تلك التزينة العشتارية التي تعود لعام ١٨٠٠ ق.م، بما نصه^(١):

- أيتها السيدة إنَّ ثديك هو حقلك،
- وحقلك الفسيح الذي يسكب النبات،
- وحقلك الفسيح الذي يسكب الحنطة،
- والماء المتدفق العلي - للمولى المأمور - والخبز من العلي،
- اسكبي للمولى ليشرب منك،



شكل رقم (٥) (٣)



شكل رقم (٤) (٢)

٢- الميثولوجيا الدينية وتبرئة عشتار وكاهنتها من البغاء ودعوتها للعفاف:

اشتهرت عشتار في الأدب العراقي ببغض البغاء ودعوتها للمرأة العراقية إلى التحلي بالعفاف بعكس ما يشيعه أصحاب ذلك الاتهام - سالف الذكر - بانغماسها في تلك الفاحشة والتشجيع لارتكابها، وتزخر في هذا الصدد الميثولوجيا المرتبطة بها بكثير من المواقف التي تؤكد

(١) فاضل عبد الواحد علي، عشتار ومأساة ديموزي، ص ١٩؛ علي القيم، المرأة في حضارات الشام القديمة، ص ٤٩. أيضاً:

Broekema, H., Inanna, lady of Heaven and Earth (History of Asumerian Goddess), P.397.

(٢) نقلا عن، فراس السواح، لغز عشتار، ص ٤٣.

(٣) نقلا عن، فراس السواح، لغز عشتار، ص ٤٥.

انتفاء البغاء عنها ودعوتها للعفاف؛ فعلى سبيل المثال ما ورد في الأسطورة السومرية المعروفة بـ "إنانا وشوكليتودا" عن مدى حرصها للعفة ومحاربة الزنا^(١)، من خلال ما صورته أحداثها عن مدى غضبها حينما اغتصبها البستاني شوكليتودا أثناء نومها في بستانه، وهي تستريح من عناء السفر^(٢)، وعندما اكتشفت ما فعله به بعد استيقاظها حاولت الانتقام منه، ولكنه هرب واختفى بين السومريين المذكورين في تلك الأسطورة باسم "أصحاب الرؤوس السوداء"؛ فصبت نيران غضبها على كل بلاد سومر بأن جعلت كل آبارها تفيض بالدم^(٣)، وقد ورد ذلك فيما نصه^(٤):

- ولكن شوكليتودا حل رباط الستر الواقى
- وولجها وجامعها
- ثم عاد إلى الطرف الآخر من البستان
- طلع الفجر وأشرق الشمس
- وتفحصت المرأة نفسها عن قرب
- إنانا تفحصت نفسها عن قرب
- وفهمت أنها اغتصبت
- وعند ذلك أية كارثة لم تترها
- بسبب فرجها المهان
- وأي شر لم ترتكبه إنانا المقدسة
- بسبب فرجها المهان
- ملأت بالدم جميع آبار (البلاد)
- أجرت الدم
- إلى أحواض البساتين كلها
- وإن ذهب خادم لجمع الحطب:
- لم يكن يشرب سوى الدم

(1) Weeden, M., types of lover and types of love-poetry in Akkadian from the third and Second millennia BC , pp.33-34

(٢) محمد الشحات شاهين، "الحزن والحداد في تراث العراق القديم"، مجلة المتحف المصري، العدد (٥)، ٢٠٠٨، ص ١٨. أيضا:

Dijk, V., Combes, R, M, " Lady of battle, his beloved spouse" , pp.150-151; Broekema, H., Inanna, lady of Heaven and Earh (History of Asumerian Goddess), P.314

(3) Cooley, J. L. , "Early Mesopotamian Astral science and Divination in the Myth of Inana and Sukaletuda " , JANER 8/1 , part II , 2008, pp.75-77 ; Kramer, S.N., The Sumerians , pp. 162 -163 ; Broekema, H., Inanna, lady of Heaven and Earh (History of Asumerian Goddess), P.314.

(٤) صمويل كريم، من ألواح سومر، ترجمة: طه باقر، مراجعة وتقديم: أحمد فخري، بغداد، ١٩٩٦، ص ١٤٩؛ أدونيس، ديوان الأساطير (سومر وأكاد وأشور) الكتاب الأول، نقله إلى العربية وعلق عليه:

قاسم الشواف، ط١، دار الساقى، بيروت، ١٩٩٦، ص ٩١-٩٢. أيضا:

Black, J. and Green, A., The Literature of Ancient Sumer, pp.202-203.

- وإن ذهبت خادمة لجلب الماء،
- لم تكن تعود إلا بالدم!
- ولم تشرب الرؤوس السوداء كلها سوى الدم!
- وهي، إنا كانت تقول: "سأكتشف المعتدي عليّ"
- أينما كان."

إضافة لما سبق فمن الأدلة الميثولوجية الأخرى في هذا الأمر التي من شأنها أن تبرز مدى مشروعية عاطفيات الربة عشتار التي كانت تقتدي بها كاهنتها الإينتوم، وما تضمنته ملحمة جلجامش بخصوص شدة إعجاب عشتار بهذا البطل، وافتتانها بقوته وبطولته؛ فطلبت منه الزواج مباشرة^(١)، ولم تطلب الزنا أو البغاء أو ما شابه ذلك من فحشاء، وهذا بالطبع يؤكد دون شك بأن عاطفيات تلك الربة كانت لا تفسر إلا في نطاق الأمور المشروعة، وذلك يتضح جلياً خلال تلك الأسطر التالية من هذه الملحمة، التي تُغري خلالها جلجامش خامس ملوك سلالة الوركاء الأولى من أجل الزواج منه^(٢)، وذلك بما نصه^(٣):

- ... تعالى جلجامش وكن عريسي،
 - هب لي ثمارك هدية،
 - كن زوجاً لي وإتخذني زوجة لك،
 - سأحضر إليك عربة من لازورد وذهب،
 - عجلاتها ذهبية وقرونها من كهرمان،
 - تجرها شياطين العاصفة بيغال عظيمة....
- وثمة دليل آخر يؤكد انتفاء البغاء عن عشتار بخلاف ما يدعي أصحاب تلك الافتراءات عليها أنها بجانب كونها ربة للجمال والإخصاب كانت أيضاً في الوقت ذاته ربة شرسة في القتال

(1) Heidel, A., the Gamesh Epic and old testament parallels, Chicago press, London, 1949, p.7; Garini, S.A., "Comparative Analysis on the Epic of Gilga-mesh and Aphrodite and Hippolytus and the difference on Death between Eastern and Western view", JII .Vol.1 , No .1 , 2017, p.9-10. also:

علي القيم، المرأة في حضارات الشام القديمة، ص ٦٧.

(٢) جمعة الطلبي، السومريون المعلمون الأوائل، ط ١، العراق- بغداد، يناير- ٢٠٢٢م، ص ١٦٦. أيضاً:

Heidel, A., the Gamesh Epic and old testament parallels, pp.2-5 ; Weeden, M., types of lover and types of love-poetry in Akkadian, p.33; Bill, t. A., Who Were the BaBylonians? , "Archaeology and Biblical Studies" , p.21.

(٣) طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦، ص ١١٠؛ سبتيو موسكاني، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، راجعه الدكتور: محمد القصاص، دار الرقي، بيروت، ١٩٨٦، ص ٨٧؛ فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة دموزي، ص ٤٨. أيضاً:

Broekema, H., Inanna, lady of Heaven and Earh (History of Asumerian Goddess), P.408 ; Garini, S.A., "Comparative Analysis on the Epic of Gilgamesh and Aphrodite and Hippolytus and the difference on Death between Eastern and Western view", p.10.

والحرب^(١)، ويستدل على ذلك التضاد من خلال ما ورد بالعديد من المصادر المسمارية^(٢)، ومنها ما جاء بتلك اللوحة الواردة بالشكل (رقم ٦) ، الموجودة حاليًا بالمعهد الشرقي في شيكاغو وتظهر فيها الربة عشتار وهي تقف فوق أسدٍ قابضةً على لجامه ومرتدية ذيَّ القتال، وتحمل في يديها قوسًا وعلى ظهرها جعبةً للسهام^(٣)، وكذلك ورد أيضًا في الميثولوجيا العشتارية ما يؤكد ذلك ومنها ما ورد بأسطورة "إنانا وكور"؛ التي تشير إلى أنها حاربت وحشًا ضخمًا بالغ القوة يدعى "كور" حينما اختطف أختها أرشيكيجال، وقد عجز الإله إنكي نفسه عن مواجهته، وجبُنت أيضًا سائر الآلهة الأخرى عن التدخل لإنقاذ أرشيكيجال من براثنه، غير أن إنانا صممت على مواجهته بالقوة رغم عنفوان قوته حتى أن والدها إله السماء "أنو" قد خاف عليها من محاربة هذا الوحش لشدة بأسه، ولكنها صممت دون خوف على مجابهته، وتمكنت بالفعل من قتله وصرعه، ويتجلى هذا خلال تصميمها البالغ لقتاله عبر تلك العبارات الواردة بتلك الأسطورة على لسانها ، بما نصه^(٤):

- سأصرعه بحريةٍ فارهة
- سأضربه بكل ما لدي من أسلحةٍ
- بالأشجار القريبة منه سأحرقه بالنار
- وفي (جسده) سأغرس الفأس البرونزي

(1) Dijk, V., Combes, R, M, " Lady of battle, his beloved spouse", p.147; Weeden, M., types of lover and types of love-poetry in Akkadian ,p.14 ; Jones, P., "Embracing Inana : Legitimation and Mediation in the Ancient Mesopotamian Sacred Marriage Hymn Iddin-Dagan A", JAOS, vol. 123, N.2, (Apr.Jun. 2003), p.291.

(٢) وجددير بالذكر أن ذلك التضاد الذي نعتت به عشتار يسمى الحب والحرب في أن واحد يعد من السمات التي تميز بها المعتقد العراقي القديم، والمتجلي في الكم الهائل من نتاجه الأدبي ، المعروف سومريًا "بأدب المناظرات" (ADMAN – DU – GA)، والنماذج الدالة على ذلك كثيرة ومتعددة، كتلك المتعلقة بالصيف مع الشتاء ، والطير مع السمك ، والعبد مع سيده ، والنخلة مع شجرة الأثل، والنسر مع الحبة. للمزيد انظر: السيد محمد السعيد عبدالله ، صفحات مطوية من تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص. ٥٩.

(٣) فاضل عبد الواحد علي ، عشتار ومأساة ديموزي ، ص ٣٨. أيضًا:

Dijk V., Combes, R. M, " Lady of battle, his beloved spouse", p.156.

(4) Kramer, S.N., " Sumerian Mythology, New York, 1961,p.83. also:

فراس السواح، مغامرة العقل الأولى (دراسة في الأسطورة سوريا- أرض الرافدين)، ط ١، دمشق، ١٩٩٦م، ص ٢١٧؛ خزعل الماجدي، متون سومر، ص ٢٤٢.



شكل رقم (٦) (١)

وهكذا يتضح مما سبق وبجلاء بالغ مدى كذب تلك الإدعاءات السالفة على ربة الجمال عشتار المعروفة سومرياً بإنانا في اتهامها بالبغاء وتشجيعها لها عبر ما ورد بالميثولوجيا الخاصة بها، التي تؤكد جميعها - كما سبق - مدى حرصها على إقامة العلاقات الحميمة المشروعة، وهذا ما كانت تسلكه كاهنتها العظمى المعروفة بالأنيتوم كوسيط بين عشتار والبشر، في تشجيعهم للزواج رغم ما طالتها هي الأخرى من افتراءات باتصافها بممارسة ما أطلقوا عليه اسم "البغاء المقدس"، الذي يدل على مدى جهلهم بحقيقة المعتقد العراقي القديم؛ لأنَّ الاسم الحقيقي الذي تندرج تحته تلك الممارسة هو "الزواج المقدس" الذي يُعدَّ إحياء لزوج مشرّع في إطار طقس ديني بين زوجين ، هما إله الرعي دموزي وربة الجمال والخصوبة عشتار، وتكون خلاله تلك الكاهنة ممثلة لربتها عشتار في حين يكون الملك بنفسه ممثلاً لزوجها ديموزي^(٢)، ويتم هذا في العلن وعلى مرأى ومسمع من الجميع في بناء معماري مخصص لهذا الطقس يعرف "بالزاقورة" ، وهو عبارة عن مبني مصمّم من ثلاثة طوابق يعلوها غرفة صغيرة يتم فيها هذا الزواج^(٣)، وذلك يتضح بالشكل (رقم ٧) لزاقورة مدينة أور ، وهناك أدلة أثرية كثيرة تؤكد أن ما يتم داخل الزاقورة كان زواجا مشروعا وليس بغاءا، وذلك باعتراف الملك نفسه؛ خلال ما عُثر عليه

(١) نقلا عن:

Green , A., Sumerian Gods., " Myths in Mesopotamian Art",Siyx Publications Groningen,1997, P.15.

(2) Rubio, G., " Inanna and Dumuzi : A Sumerian Love Story ", JAOS, vol. 121, No. 2, (Apr. - Jun.2001), p. 269 ; laoutides,E.A., Charles,M.B., "Herodotus on Sacred Marriage and Sacred prostitution at Babylon", p.2; Black, J. and Green, A., The Literature of Ancient Sumer, p.262. also:.

فاضل عبد الواحد علي، عشتار ومأساة تمور، ص ١٠١؛ سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، بيروت، ٢٠١٣ م، ص ٤٥.

(٣) عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم (موجز التاريخ السياسي)، ج ١ الموصل، ٢٠١٠ م، ص ١٧١-١٧٢؛ رضا جواد الهاشمي، النظام الكهنوتي في العراق القديم، ص ٢٦٢.

في معبد عشتار بأوروك على قلادة تعود لملك دولة أور الثالثة السومرية "شو-سين" (٢٠٣٧-٢٠٢٩ ق.م)^(١)، مدون عليها اسم كاهنة الأنيتوم التي ادت معه شعائر الزواج المقدس وذلك بعبارة: "أبابستي الكاهنة"^(٢)، والتي جاء اسمها كذلك على ختم لهذا الملك بعبارة: "أبابستي زوجته المحبوبة"^(٣)؛ مما يدل على أن ما حدث بينهما في الزاقورة كان زواجًا وليس بغاءًا، ويتضح أيضًا مشروعية هذا الزواج من خلال ما ورد بأحد الألواح المسمارية التي تعود لنفس هذا الملك، بأن الكاهنة كانت لا تتاديه في أثناء العلاقة الحميمة بينهما بالزاقورة إلا بلفظ "عريسي"، وقد ورد ذلك بوضوح تام عبر بعض الأبيات الواردة في تلك الألواح، بما نصه^(٤):

- أيها العريسُ دعي أقبلك،
- فقبلتي حلوة ألد من الشهد،
- دعي أتمتع بجمالك اللطيف،
- فقبلتي حلوة ألد من الشهد،
- ياشو - سين يا من يدخل السرور لقلب إنليل،
- أتوسل إليك أن أقبلك،

(1) Bill, t.A., Who Were the BaBylonians? ,p.29.

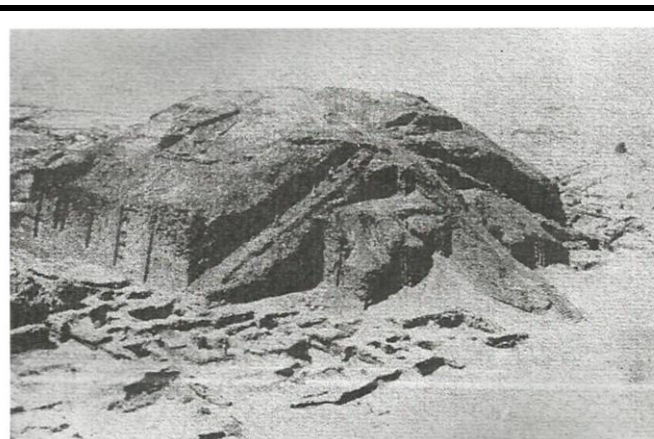
(٢) صمويل كريم، طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ترجمة: نهاد خياطة، ط٢، دمشق، ١٩٩٣، ص ٢١١، فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة تموز، ص ١٠٩

(3) Walker, C.B.F., "Another Babati Inscription", JCS, vol. 35, No. 1/2 (Jan.-Apr. 1983), p.93; Stol , M., women in the Ancient Near, p.496. also:

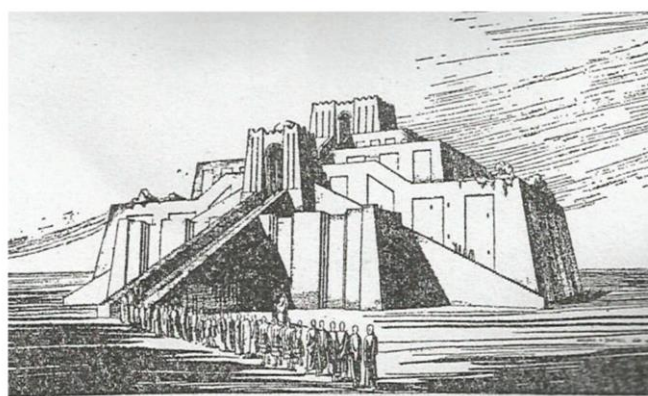
فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة تموزي، ص ١٠٩.

(4) Kramer, S.N., The Sumerians, p.254. also:

فاضل عبد الواحد علي، "الأعياد والاحتفالات"، حضارة العراق، ج ١، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢١٢-٢١٣.



آثار زاقورة أور



نموذج تخيلي لزاقورة أور

شكل رقم (٧) (١)

وَلَعَلَّ ما يوضح هذا الظلم البين الذي تعرضت له تلك الكاهنة من اتهامها بالبغاء ،
انتمائها إلى أرقى الطبقات الاجتماعية العليا ببلاد النهرين، وهذا يحول بينها وبين اتصافها بتلك
الفاحشة ؛ لكونها سليلة الملوك والأمراء فلا يمكن السماح لها بامتهان تلك الفاحشة كما يدَّعي
أصحاب الأقلام المغرضة التي تقتصر على تشويه النساء العراقيات ، بل امتدت أيضًا إلى
الكاهنات المتميزات اجتماعيًا ، والأمثلة علي ذلك كثيرة ومتعددة منها علي سبيل المثال ابنة
سرجون الأكادي (٢٣٧١-٢٣١٦ ق.م) نفسه الذي يُعدُّ من أعظم ملوك العراق والعالم القديم على
الإطلاق، والمسماة "إنخيدوانا" كانت كاهنة إنيتوم^(٢)، بل الأكثر من ذلك أنَّ والدته هذا العاهل

نقلا عن : paul, C ., the sumerians (lost civilizations), London, 2021, p.136. also: سيتون لويد، آثار بلاد النهرين (من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي)، ترجمة: محمد طلب، ط١، دمشق، ١٩٩٣م، ص ٢١١.

(2) Kubrt, A., The Ancient Near East: c.3000-330 BC, vol.I, London, 1995, p.50; William ,W. Hallo and J.J.A.van dijk., The Exaltation of Inann, Yale university press, New Haven and London, 1968, p.196 ; Yoffee ,N., political Economy in Early Mesopotamian States , Annual Review of Anthropology, vol . 24, 1995, p.292; Nowicki , S ., "Women and References to women in Mesopotamian Royal

الأكادي الكبير قد امتهنت من قبل ذلك العمل الديني المتميز حتى أن سرجون نفسه كان يفخر بعملها هذا كثيرًا، وذلك استناداً إلى ما ورد بإحدى كتاباته بما نصه: "أنا سرجون الأكدي العظيم ملك أكد، كانت أمي كاهنة أنيتوم"^(١)، وكذلك الحال أيضاً مع ابنة ملك إسين "إشمي-داجان" (١٩٥٣-١٩٣٥ ق.م) التي تدعى "أنانساتوم"، حيث كانت هي الأخرى تعمل كاهنة أنيتوم^(٢)، والجدير بالذكر هنا أن هذا الأمر قد استمر قائماً حتى نهاية الحضارة العراقية بصفة عامة، وبدليل أنه قد ورد عن الملك "تبويد" (٥٥٥-٥٣٩ ق.م) آخر ملوك السلالة الكلدانية وحضارة العراق ككل أن ابنته التي تُدعى "بيلشالتي-نانار" كانت كاهنة أنيتوم^(٣)، وذلك مثلما كانت أمه أيضاً من قبل تعمل هي الأخرى بتلك الوظيفة، والتي تُدعى "أدد-كبي"^(٤)، وهي نفسها المرأة التي ذكرها هيرودت في كتاباته باسم "تيتوكرس" من خلال حديثه عن الحرب التي نشبت بين قورش الفارسي، وولدها نبويد المعروف لديه باسم "لابينتوس"^(٥).

ولهذا فقد سُنت القوانين والتشريعات ببلاد النهرين لحماية تلك الكاهنة والسمو بمكانتها وصونها بجعل سمعتها فوق الشبهات- بعكس ما يدعيه أصحاب الافتراءات السابقة- حيث ورد بقانون حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م)، مواد تعاقب قانونياً كل من تراوده نفسه في التناول على تلك الكاهنة المقدسة باتهامها بالبغاء، ولو بمجرد الإشارة بإصبعه مهما بلغت مكانته^(٦)، كالذي جاء بالمادة "رقم ١٢٧" من هذا القانون بما نصه: "... إذا أشار أحد السادة بإصبعه متهمًا كاهنة الأنيتوم أو امرأة رجل آخر دون أن يُثبت ضدها شيئاً؛ فإن هذا السيد يُجر ويمثل أمام القضاء، وهو حالق نصف رأسه"^(٧).

inscriptions": An overview from the Early Dynastic to the End of UR 111 period, vol. 4, 2016, p.40 ; Bill, t.A., Who Were the BaBylonians?, p.24.

(1) Kubrt, A., The Ancient Near East: c.3000-330 BC, p.48 ; Bill, t.A., Who Were the BaBylonians?, p.26. also:

فاضل عبد الواحد علي، أسطورة وملحمة، دار الشؤون الثقافية، جروس-برس، ٢٠٠٠م، ص ٢٤٤؛ فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة ديموزي، ص ١١٨؛ سليمان طه التكريتي، أساطير بابلية، ص ١١٩.

(2) Woolley, L., Excavations at Ur, London, 1954, p.138.

(3) Woolley, L., Excavations at Ur, p.235.

(٤) عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، ج ٢، ص ٤٤.

(5) Herodotus, Translated by Godley, A.D., vol. I, BK. I, No. 188, London, 1975, p.235.also:

قيس حاتم هاني الجنابي، روايات هيرودوت عن بابل وأشور (دراسة تاريخية وتحليلية)، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد (٢٥)، السنة (٩)، تشرين الثاني، ٢٠١٦م، ص ٢٢٥.

(6) Yoffee, N., political Economy in Early Mesopotamian States, p.296 ; Bill, t. A., Who Were the BaBylonians?, p.9.

(7) Luckenbill, D.D., "Women of the code of Hammurabi", the American Journal of semitic languages and literatures, Vol.34, No.1(oct., 1917), p.8; Roth, T.M., Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor, Scholars press, Atlanta, Georgia, 1995, p.105.

هذا ولم تقتصر سمة العفة على كاهنة الأنيتوم دون غيرها؛ بل امتد ذلك أيضاً إلى كاهنات أخريات كثيرات؛ منهن طبقاً لما ورد بالافتراءات السابقة الكاهنة المعروفة بالناديتوم تلك التي اتُهمت هي الأخرى بفاحشة البغاء، مع أن هذا لا يتناسب مع سمو مكانتها الاجتماعية التي تعود في كثير من الأحيان إلى البيت المالك نفسه، ومثل كاهنة الناديتوم التي تُدعى "أيالأتوم" بنت الملك "سامولا إيل" (١٨٨٠-١٨٤٥ ق.م) من سلالة بابل الأولى^(١)، وهذا فضلاً عن ثرائها البالغ الناجم عما كان يؤول إليها عن طريق الوراثة من ثرواتٍ طائلةٍ من والدها، وذلك طبقاً للقوانين العراقية التي سمحت لها بتلك الوراثة والواضحة بالمادة (١٧٨) من قانون حمورابي^(٢)، وقد أكدت النصوص المسمارية ذلك الثراء الفاحش لتلك الكاهنة لدرجة أن تلك المصادر قد صورتها على كونها مالكة لأراضٍ واسعةٍ وعقاراتٍ كثيرةٍ، ومقرضة وبائعة ومشتريّة بمساعدة مجموعة من الموظفين التابعين لها^(٣)، ورغم ذلك وجه أصحاب هذه الافتراءات لتلك الكاهنة تهمة امتهان البغاء في بيوت للدعارة عُرفت لديهم بالكاكو من أجل المال - كما أشير سابقاً -؛ رغم أنها ليست بفقيرة ولا بأسيرة شهوةٍ محرومةٍ منها، حيث سمحت لها القوانين العراقية بالزواج^(٤)؛ فكيف تُتهم مثل هذه المرأة المتروجة الثرية صاحبة النفوذ والمكانة الاجتماعية الرفيعة بالبغاء.

وأما بالنسبة إلى الكاكو الذي اتُهمت خلاله كاهنة الناديتوم بممارسة البغاء خلاله على كونه بيتاً للدعارة فإنّ كلاً من التدقيق التاريخي والأثري يؤكد أن ذلك الاتهام ما هو سوى أحد الافتراءات العارية من الصحة، وذلك يتجلى بوضوحٍ بالغٍ بمجرد الرجوع إلى جذور تلك التسمية المشتقة من الأصل السومري "كاكيا GA-GI-A"، الذي يحمل معنى: "البيت المغلق"؛ أي الذي لا يدخله سوى القاطنين به، وهذا بالطبع - كما يرى البعض - يتنافى كلية مع طبيعة بيوت الدعارة المفتوحة بشكلٍ دائمٍ لراغبي المتعة الجنسية غير المشروعة، بجانب ما أوضحته أيضاً التنقيبات الأثرية - في هذا الصدد - من أن تلك البيوت المعروفة بالكاكو هي الأقرب في

(1) Bill,t.A., Who Were the BaBylonians?,p.41.

(2) Roth,T.M., Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor,p.117.

(3) Harris , R., on the process of secularization under Hammurapi , vol.15 , No. 4, 1961, P.119.

(٤) أقر المشرع العراقي القديم لكاهنة الناديتوم بأن تتزوج بشرط عدم إنجاب أطفال، وسمح لها أن تقدم لزوجها لزوجها أمة لإنجاب الأطفال على أن يكونوا أبناء لكاهنة الناديتوم، وذلك طبقاً لما ورد بالمادتين (١٤٤)، (١٤٥). للمزيد انظر: أحمد ناجي السبع، حقيقة الزواج المقدس (البغاء المقدس) في بلاد الرافدين، مجلة الدراسات في التاريخ والآثار، كلية الآداب، العدد (٥٦)، ٢٠١٦م، ص ١٢٩؛ عامر سليمان، القانون في العراق القديم (دراسة تاريخية قانونية مقارنة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٧م، ص ٢٥٥.

أيضاً: Roth,T.M., Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor,p.108.

تخطيطها المعماريّ للأديرة^(١)، بالإضافة إلى ذلك فإن الكاكو هذا يقع بصفة دائمة داخل المعبد الرئيسي، الذى يعج بالكهنة والحراس والحائكات والطاحنات اللاتي يقومن بخدمة حاجات هذا المعبد، مما يؤكد هذا كله بطلان الاتهام بكونه بيتاً للدعارة^(٢).

ثانياً: الرد على افتراءات هيرودوت عن شيوخ البغاء بين النساء العراقيات:

اتسمت مزاعم هيرودوت بالافتراء والظلم البين بشيوخ البغاء وعمومها لدى المرأة العراقية القديمة؛ لما افتقرت إليه تلك المزاعم من الموضوعية والدقة التاريخية، وفقاً للعوامل الآتية:

١- التعارض البالغ في اتهامات هيرودوت بشيوخ البغاء لدى النساء العراقيات كطقس ديني مع طبيعة المعتقد العراقي نفسه؛ مما يدل على مدى جهله بالتعاليم الدينية لهذا المعتقد وآلهته التي تدعو إلى العفة ومحاربة البغاء بكافة صورته وأشكاله؛ وعلى رأسهم ربة الجمال عشتار التي خصّها هذا المؤرخ بعينها في اتهامه هذا بأنها هي التي كانت تدعو النساء إلى البغاء تقريباً إليها؛ مما يؤكد عدم معرفة هذا المؤرخ الكلاسيكي بالميثولوجيا الخاصة بتلك الربة التي تدعو جميعها - كما أشير آنفاً- إلى أن الزواج هو المظهر الوحيد للعلاقات الحميمة بين الرجل والمرأة ونبذ ما دون ذلك، والأمر اللافت للانتباه أيضاً أن ذلك المؤرخ الكبير قد غاب عن ذهنه عبر ادعائه المزعوم هذا أن كلّ ما ورد في معظم الميثولوجيا العراقية القديمة عن أن الآلهة كانت تُنزل أشد أنواع العقاب التي تصل إلى الموت لكل إله كبير أو صغير يفعل تلك الفحشاء، والأدلة على ذلك كثيرة ومتعددة منها على سبيل المثال ما ورد بأسطورة "أنليل وننليل" السومرية التي تشير إلى غضبة عارمة انتابت الآلهة السبعة العظام والخمسين الكبار بسبب ارتكاب أحد الآلهة لتلك الفاحشة الشنعاء المتمثلة في اغتصاب القهري لربة تُدعى "سود" (بمعنى الطويلة) والتي تحول اسمها فيما بعد إلى ننليل^(٣)، والغريب أن الذي ارتكب تلك الفاحشة هو "ننليل" إله الهواء، ورب مدينة نفر (نيبور الحالية الواقعة بمحافظة القادسية)^(٤)، الذي يُعد من أكبر الآلهة على الإطلاق، ولعل ذلك يتضح من خلال العديد من ألقابه التي من بينها "أبو الأرباب"، "ملك السماء والأرض"، "ملك كل البلاد"^(٥)، غير أن هذا كله لم يحل دون عقابه من الآلهة لفعلته الآثمة، وحكمهم عليه بالنزول إلى العالم السفلي الذي يعني الموت^(٦)، وهذا لم يقتصر فقط على ذلك الإله بل نجد إله آخر وهو إنكي إله المياه الجوفية^(٧)،

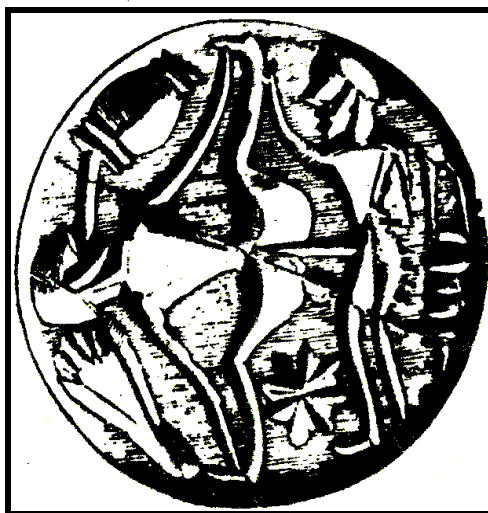
(١) خزعل الماجدي، متون سومر، ص ٢٧٥؛ السيد محمد السعيد عبد الله، صفحات مطوية من تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ٧٥.

(٢) فوزي رشيد، المعتقدات الدينية، حضارة العراق، الجزء الأول، بغداد، ١٩٨٥، ص ١٩٢.
(3) Black, J. and Green, A., Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, p.140.

(٤) خزعل الماجدي، متون سومر، ص ١٠٦-١٠٧.
(5) Kramer, S.N., "Mythology of Sumer and Akkad", Mythologies of the Ancient World, New York, 1961, p.96.

(٦) طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، ص ٩٥. أيضاً:
Kramer, S.N., The Sumerians, p.253.

وذلك طبقاً لما ورد بأسطورة "جنة الفردوس" التي أظهرت إنكي بأنه إله لعوبٌ مولع بالجنس منذ صغره^(٢)؛ مما أثار عليه غضب وانتقام زوجته "نخرساج" بسبب تصرفاته الجنسية، وقد صور إحداها على ختم إسطواني واضح بالشكل (رقم ٨) ، يصور بوضوح بالغ مضاجعة إنكي للربة أتو حفيدته ؛ مما أثار زوجته نخرساج وغضبت عليه غضباً شديداً وأحلت به كثير من الأمراض لتنتقم منه لفعلته الآثمة لولا تدخل الآلهة^(٣)، وقالت له: "إلى آخر أيامك لن أنظر إليك بنظرة الحياة"^(٤)، وهذا يوضح لنا أن كل الآلهة العراقية ترفض ذلك الفعل الأثيم.



شكل رقم (٨)^(٥)

وكانت الملاحم الشعبية التي تتعلق بالأشخاص وليس بالآلهة ترفض أيضاً هذا البغاء وتدينه مثل (ملحمة جلجامش)؛ التي يتضح منها أن أهالي مدينة أوروك ثاروا ضد جلجامش خامس ملوك تلك المدينة بسبب أنه سلب عذرية سائر فتياتها ، حيث كان يمنح نفسه الليلة الأولى من زواجها ، بأن يفض بكارتها قبل دخولها على زوجها ، وقد ورد ذلك بإحدى الألواح السومارية التي جاء بها ما نصه: "لم يدع جلجامش عذراء لحبيبها، ولا ابنة مقاتل ولا خطيبة بطل"^(٦)؛ فشكا أهل أوروك من ظلمه هذا إلى الإله الأكبر أنو (إله السماء) ، الذي ثار غضباً من ارتكابه لتلك الفاحشة؛ فتوجه أنو بدوره إلى الربة الخالقة "أرورو" على أن تخلق له بشراً متوحشاً يضاهيه في قوته وهو "إنكيدوا"؛ لكي يقاومه ويحول بينه وبين تلك الفاحشة الشنعاء^(٧)،

(1) Nejat, K.R., Daily life in Ancient Mesopotamia, London, 1998, p. 193; Kramer, S.N., The Sumerians, p.145.

(٢) خزعل الماجدي، متون سومر، ص ١٤٥.

(3) Kramer, S., Mythology of Sumer and Akkad, p. 101.also:

خزعل الماجدي، متون سومر، ص ١٤٦.

(٤) فراس السواح، الأسطورة والمعنى، ص ٦٩؛ أدونيس، ديوان الأساطير (سومر وأكاد وآشور) الكتاب الأول، ص ٣٥.

(٥) نقلا عن: السيد محمد السعيد عبد الله، صفحات مطوية من تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ٣٢١.

(٦) ستيفاني دالي، أساطير من بلاد ما بين النهرين، ص ٧٧-٧٨.

(7) Gale , T.H., "The Epic of Gilgamesh" , Literature and its times 6 ,2004, p.148.

ورود ذلك بما نصه: "... فاستدعت آلهة السماء رب أوروك، (وقالوا له)، ألم تخلق أوروك هذا الثور الوحش الجبار؟ ألا يضاهي فتك أسلحته لسلاح آخر، والذي تستيقظ رعيته على ضربات البطل جلجامش الذي لم يترك ابناً طليقاً لأبيه، وانفتى يضطهد الناس بظلمه ليلاً ونهاراً على أنه هو راعي أوروك هو راعيهم ولكنه يضطهدهم، وهو قوي وجميل وحكيم، إن جلجامش لم يترك عذراء لحبيبها، ولا ابنة مقاتل ولا خطيبة البطل، ولما استمع "أنو" الجليل لشكواهم، دعى أوروك قائلاً أنت الذي خلقت هذا الرجل، فاخلفي الآن غريماً له يضارعه في قوته وعزمه، وليكونا في صراعٍ مستديم لتتال أوروك السلام والراحة"^(١)؛ فكل هذا من شأنه أن يوضح أن الآلهة العراقية وعلى رأسهم عشتار قد تصدت جميعها للبغياء بكل حزم وقوة، وأنه بذلك لم يكن طقساً دينياً سائداً كما يزعم هيروودوت الذي يظهر من حديثه طبقاً لهذه الحثيات إنه يجهل تماماً طبيعة المعتقد العراقي القديم عندما ادّعى ظلماً وافتراءً بأن سائر نساءه كانت تمارس البغياء كطقس ديني .

٢- انحصرت الاتهامات الكلاسيكية بعموم ظاهرة البغايا ببلاد النهرين على كتابات هيروودوت فقط دون أن يطرقها غيره من الكلاسيكيين من قريب أو بعيد، على الرغم من بالغ اهتمامهم بالحضارة العراقية القديمة، وذلك إذا استثنينا ما ورد لدى أحد مؤرخيهم ويُدعى "بيروسوس" المولود في بيبثينيا بآسيا الصغرى في القرن الثالث ق.م، وهاجر إلى أرض بابل وكتب عن ماضي العراق في ثلاثة مؤلفات سماها "البابليات"^(٢)، وقد خلت جميعها من توجيه مثل تلك الاتهامات التي ساقها سلفه هيروودوت للمرأة العراقية القديمة، مع أن بيروسوس هذا لم يكن بالمحابي لتلك المرأة؛ بل هاجمها هو الآخر عبر رواية غريبة اختلفت في مضمونها مع مزاعم هيروودوت في كتابه الأول من بابل وتتنافى تماماً مع العقل والفطرة البشرية؛ حيث زعم في كتاباته هذه بوجود عيد سنوي في بابل يعرف "بعيد الساكيا" كان من مراسيمه وطقوسه أن يؤتى في حضرة الملك بأحد السجناء المحكوم عليهم بالموت، ويقوم بارتداء ملابس الملك ويضاجع جميع خليات الملك ومحظياته الكثيرات دون انقطاع طوال فترة العيد الممتدة لخمس أيام متواصلة^(٣)، ورغم أن هذا يتنافى تماماً مع الطبيعة البشرية، وحتى إن سلمنا بصدق هذه الرواية الرواية الغريبة المنحصرة في باب التسلية للملك، دون أن تمس شرف المرأة العراقية القديمة في اتهامها بالبغياء.

(1) Heidel , A ., the Gilgamesh Epic and Testament Parallels , p.25 .

(٢) سمير العبداني، جغرافية بلاد ما بين النهرين من خلال المصادر الكتابية المحلية (بيروسوس) والإغريقية (هيروودوت وزينفون) دراسة مقارنة، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد (٣)، العدد (١)، ٢٠١٩، ص ٣١؛ سامي سعيد الأحمد، تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٥، ص ٤٥.

(٣) حكمت بشير الأسود، الرقم سبعة في حضارات بلاد الرافدين القديمة، دمشق، ٢٠٠٧، ص ٧٧؛ أيضاً:

Burstein ,M,S.,The babyloniaca of berossus , (sources and monographs),sources from the ancient near east, vol.1, fascicle.5, undena publication,Malibu , 1978 , p. 17.

٣- اتسمت الكتابات الكلاسيكية عن المرأة العراقية والمجتمع العراقي بصفة عامة بعدم الموضوعية، وخاصة المرتبطة بهيرودوت التي تخللتها كما تظن الباحثة مشاعره الشخصية المرتبطة ببالح كراهيته كإغريقي عانى وقاسى من الحروب الفارسية التي شنها الإمبراطور دارا الأول (٥٢٢-٤٨٦ ق.م) على بلاد اليونان، ومن الطبيعي أن يسقط هذا المؤرخ مشاعره الشخصية هذه - كما يعتقد البعض - على بلاد العراق التي كانت آنذاك في القرن الخامس جزءاً لا يتجزأ من الإمبراطورية الفارسية الأخمينية؛ ولذلك فليس غريباً أن يصب كامل غضبه على المجتمع العراقي باتهام جميع نساءه بممارسة الزنا كأحد أشكال البغاء كطقس ديني لتشيويه صورة هذا المجتمع^(١).

٤- يتضح أن هيرودوت قد اعتمد في كتاباته هذه على أخبار شفاهية غير مدققة تاريخياً وصلت إلى مسامعه لاسيما أنه لم يكن معاصراً للحضارة العراقية الممتدة في تاريخها للألف الثالث ق.م، والتي تعرضت للأفول التام في أثناء حياته بالقرن الخامس قبل الميلاد على أثر سقوط دولة بابل على يد الملك قورش الأخميني عام ٥٣٩ ق.م، وضمها إلى الإمبراطورية الفارسية؛ ولذلك فإن كثيراً من المؤرخين يعتقدون أن هيرودوت نفسه لم يزر أرض العراق أصلاً، وأنه قد اعتمد على أخبار منقولة غير مدققة علمياً، وهذا واضح في تحامله على المرأة العراقية كنوع من الانتقام من هذا المجتمع^(٢).

ثالثاً: محاربة القوانين العراقية لظاهرة البغاء بكافة مظاهرها:

شدت التشريعات العراقية القديمة على ضرورة حماية الأسرة والمجتمع من ظاهرة البغايا واقتلاعها بكافة صورها وأشكالها؛ كالخيانة الزوجية، وزنا المحارم، والاغتصاب، وإتيان المرأة من دبرها، ويمكن استعراض ذلك في الآتي:

١- التصدي القانوني للزوجة البغي الخائنة:

تعددت القوانين التي حاربت الخيانة الزوجية منذ فجر الحضارة العراقية حتى آخر عهودها، وكانت الدولة تُشرف على هذا بنفسها بأن جعلت عقود الزواج مكتوبة وموثقة وليست شفاهية، حتى يلتزم بها الجميع ولا تمارس الزوجة رذيلة البغاء وخيانة زوجها، ولعل أقدم التشريعات العراقية التي أشارت لذلك وشدت عليه المادة رقم (٢٨) من قانون أشنونا لملكها

(١) السيد محمد السعيد عبد الله، صفحات مطوية من تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ٦٩. أيضاً: laoutides, E.A., Charles, M.B., "Herodotus on Sacred Marriage and Sacred prostitution at Babylon", p.1.

(٢) خزعل الماجدي، متون سومر، ص ٢٧٨، عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، ج ١، ص ٦٥؛ قيس حاتم الجنابي، روايات هيرودوت، ص ١٩١-١٩٢.

المدعو "بلالاما" السومري الذي حكم عام ١٩٣٠ ق.م تقريباً^(١)، الذي ورد بها ما نصه: "إذا تزوج رجل ابنة رجل بدون موافقة أمها وأبيها، ولم يعمل عقداً بالزواج مع أمها وأبيها؛ فهي ليست زوجة شرعية حتى لو عاشت في بيته سنة كاملة"^(٢).

والهدف من ذلك كما هو واضح هو إقامة الحجة والبينة على الزوجة حتى لا تُنكر خيانتها كامرأة متزوجة لرجل له حق صيانة شرفه؛ ولذلك كانت تعاقب بأشد العقوبات، وتأكيداً لتلك العقوبات الرادعة التي تتعرض لها تلك الزوجة عقب كتابة عقد زواجها، ورد بالمادة (٢٩) من نفس القانون، ما نصه: "ولكن إذا أقام وليمة ليلة الزفاف وكتب العقد مع أبيها وأمها ودخل بها فإنها (في هذه الحالة) زوجة شرعية، ويوم يقبض عليها في حضان رجل (آخر) يجب أن تموت ولا تستمر في الحياة"^(٣)، ولهذا لم يغفل قانون حمورابي الذي يعد أهم وأعظم التشريعات القانونية بالعالم القديم علي التشديد من ضرورة توثيق عقود الزواج حتى تصبح المرأة زوجة شرعية، وذلك طبقاً لما ورد بالمادة (١٢٨) من قانون حمورابي بما نصه: "إذا اتخذ رجل زوجة له ولم يدون عقدها فإن هذه المرأة ليست زوجة شرعية"^(٤).

هذا بالطبع من شأنه أن يوضح مدى حرص المشرع العراقي على تشديد عقوبة البغاء للمرأة المتزوجة التي وصلت إلى حد الموت، وقد تجلّى ذلك بمختلف القوانين العراقية منذ نشأتها بالآلف الثالث وتحديداً منذ زمن الملك السومري أوروكاجينا (٢٣٥١-٢٣٤٢ ق.م)، وهو أحد الحكام المنتمين إلى سلالة لجش الأولى^(٥)، إلى نهاية الحضارة العراقية، ويمكن استعراض بعض هذه المواد من مختلف قوانين هذا الملك خلال محاولته لمنع ظهور البغايا والمومسات، بوضعه لعقوبات صارمة تصل إلى حد الموت للمرأة التي تتزوج بأكثر من رجل واحد في آن واحد، حيث اعتبر هذا نوعاً من البغاء؛ فجعل عقوبتها في تشريعاته تصل إلى حد الرجم حتى الموت

(١) عامر سليمان، القانون في العراق القديم، ص ١٩٨.

(٢) رضا جواد الهاشمي، القانون والأحوال الشخصية، حضارة العراق، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٨٥ م، ص ١٠٧.

أيضاً: Roth, T.M., Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor, p.63.

(٣) رضا جواد الهاشمي، القانون والأحوال الشخصية، ص ١٠٥.

أيضاً: Roth, T.M., Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor, p.63.

(٤) عامر سليمان، القانون في العراق القديم، ص ١٥٥.

أيضاً: Roth, T.M., Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor, p.105.

(٥) جمعة الطلبي، السومريون الأوائل، ص ٨٧.

لكي لا تنتشر هذه الظاهرة ، وقد ورد ذلك بما نصه^(١): " كان يقع الرجم على المرأة التي تتزوج رجلين في وقت واحد"^(٢).

وقد سار باقي ملوك العراق القديم على هذا المنوال في قتل الزوجة الخائنة والامثلة على ذلك كثيرة ومتعددة ، منها ما ورد في تشريع الملك السومري "أورنامو" (٢١١٢-٢٠٩٥ ق.م) مؤسس سلالة أور السومرية الثالثة^(٣)، بالمادة (٤) من قانونه ، ما نصه: "إذا أغوت زوجة رجل بمفاتها رجلاً آخر حتى قام بمضاجعتها فللزوج الحق في أن يقتل تلك الزوجة، في حين يجب عليه إطلاق سراح الرجل"^(٤)، كما ورد أيضاً بقانون حمورابي بالمادة (١٢٩) بما نصه: "إذا ضُبِطت زوجة رجلٍ يضاجعها رجلٌ آخر، يربط الاثنان معاً ويلقيان في النهر"^(٥).

٢- التصدي القانوني لزنا المحارم:

تعد تلك الفاحشة أحد مظاهر البغاء التي تمارسها قليل من النساء بإرادتها ، غير أنَّ هذه الظاهرة كانت على نطاق ضيق في بلاد النهرين بحكم الفطرة الإنسانية التي تأبأها وتنفّر منها في أغلب الأحيان، ومع هذا فقد سعى المُشرّع العراقيّ على استئصال وجودها من خلال العقوبات القاسية التي تتعرض لها المرأة التي تمارس ذلك مع من يشاركها من المحارم؛ فكانت العقوبة لكلّ منهما الموت حرقاً في كثير من الأحيان، ويتجلى ذلك بالمادة (١٥٧) من قانون حمورابي بحرق الابن والأم التي يضاجعها ، وذلك بما نصه: "إذا نام رجل بعد (وفاة) والده في حضن أمه فعليهما أن يُحرقا كليهما"^(٦)، وكذلك هذا أيضاً يحدث مع من يضاجع زوجة ابنه؛ فيحكم عليه أيضاً بالموت عن طريق إلقائه في الماء؛ وذلك طبقاً لما ورد في المادة (١٥٥) من قانون حمورابي فيما نصه: "إذا سيد اختار عروسة لابنه ودخل بها ابنه ولكن بعدئذ نام هو بنفسه في حجرها فيقبضون عليه، ويجب عليهم أن يوثقوا ذلك الرجل ويلقونه في الماء"^(٧).

(١) خمائل شاكر أبو خضير، مبدأ العدل في القوانين العراقية القديمة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية الأساسية، ٢٠٢٠م، ص ١٠.

(٢) خزعل الماجدي، متون سومر، ص ٢٦٨.

أيضاً: kramer.,the sumerian., p.83; Kaur , J., Ancient Mesopotamia , p.8.

(3) Yoffee, N., political Economy in Early Mesopotamian States, p.294; Bill,t.A., Who Were the BaBylonians?,p.29.

(٤) عامر سليمان، القانون في العراق القديم، ص ١٩٤؛ فراس السواح، مدخل إلى نصوص الشرق القديم، دمشق، ٢٠٠٦، ص ٢٦٨.

أيضاً: Roth,T.M., Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor,pp.17-18

(5) Meek, J., "The Code of Hammurabi", ANET, 1958, p.15; Roth,T.M., Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor,p.105; Stol , M.,women in the Ancient Near , p.239.

(٦) فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، الجمهورية العراقية، مديرية الثقافة العامة، (د-ت)، ص ١١٧.

أيضاً: Roth,T.M., Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor,p.111.

(٧) محمود الأمين، شريعة حمورابي، تقديم: الأب سهيل شاقا، ط١، لندن، ٢٠٠٧، ص ٤٦.

أيضاً: Roth,T.M., Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor,p.110.

فضلاً عما سبق فإن عقوبات الطرد تناولت كل من يمارس هذه الفاحشة أيضاً، لما يمثله ذلك الطرد آنذاك من عقوبة قاسية ، ويعنى ذلك أن على المطرود من المدينة ترك كافة ممتلكاته سواء كانت منقولة أو غير منقولة، فضلاً عن قطع علاقته بأولاده وزوجته^(١)، وذلك يتجلى فيما ورد في المادة (١٥٤) من قانون حمورابي لرجل ضاجع ابنته، بما نصه: "لو نام رجل مع ابنته يجبرونه على ترك المدينة"^(٢)، ويحدث أيضاً إذا ضاجع رجل مسن مربية أولاده فكان يطرد من بيت ابنه بشكل مهين ، وهذا يمثل أقل ضرراً للمطرود؛ لأنه يقتصر فقط على ترك بيت ابنه دون المساس بأمواله ، وذلك طبقاً لما ورد في قانون حمورابي بالمادة (١٥٨) فيما نصه: "إذا قبض على سيد مضطجعا في حجر مربيته التي ولدت أولاداً فيجب طرده من بيت ابنه"^(٣).

٣- التصدي القانوني لاغتصاب المرأة وإتيانها من الدبر:

يعد اغتصاب المرأة احد الظواهر القليلة الانتشار بالمجتمع العراقي القديم بعكس مزاعم اصحاب تلك الاتهامات السابقة ؛ خاصة في ظل تشريعات ذات عقوبات رادعة تصل إلى حد الموت للمغتصب ولا تجازي المرأة ؛ لأن ما حدث لم يكن بإرادتها، وقد اختلفت هذه العقوبات ما بين المرأة الحرة والأمة؛ إذ كانت عقوبات اغتصاب المرأة الحرة رادعة وتصل في كثير من الأحيان إلى الموت، كما ورد في المادة (٢٧) من قانون أشنونا فيما نصه: "إذا أعطى رجل لابنة رجل مهراً، ولكن رجلاً آخر اختطفها ودخل بها (افتضها) من دون موافقة أبيها فهذه قضية تضاهى قتل النفس، ويعاقب بالموت"^(٤).

وكذلك ورد في قانون حمورابي عبر المادة (١٣٠) ما نصه: "إذا اغتصب شخص عفاف زوجة سيد لم يسبق أن تعرفت على رجل، ولما نزل في بيت والدها ونام غصباً في حضنها وقبض عليه في أثناء ذلك فإن هذا الرجل يقتل وهذه المرأة تترك"^(٥).

وقد ورد في القوانين الآشورية نفس العقوبة التي تصل إلى حد الموت في المادة (١٤)، فيما نصه: "إذا مرت زوجة رجل في شارع (عمومي) وأمسكها رجل وقال لها (دعيني أضاجعك) فإذا رفضت ودافعت عن نفسها بغيرة وحماس غير أن الرجل أخذها بالقوة وضاجعها. فإذا شاهده يضايع المرأة، أو أن شاهدها قد أيد مشاهدته لهذا الرجل وهو يضايع المرأة؛ فعليهم أن يقتلوا هذا الرجل، وأما بالنسبة إلى المرأة فلا عقاب عليها"^(٦).

(١) محمد فهد حسين القيسي، التفكك الأسري عند الآلهة في العراق القديم، جامعة واسط، كلية التربية للعلوم الإنسانية، المجلد (١٥)، العدد (٤٤)، ٢٠١٩، ص ٧٣.

(٢) عامر سليمان، القانون في العراق القديم، ص ٢٥٦.

أيضاً: Roth, T.M., Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor, p.110. (٣) محمود الأمين، شريعة حمورابي، ص ٤٦.

أيضاً: Roth, T.M., Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor, p.111. (٤) فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، ص ٦٦.

(5) Roth, T.M., Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor, p.106.

(6) Roth, T.M., Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor, p.15

ولكن في حالات أخرى كان يتم التفاهم بين والدي الفتاة المغتصبة والرجل المغتصب ، على أن يُجبر بالزواج منها ، طبقاً لما ورد في أحد القوانين السومرية التي تعود لعام ١٨٠٠ ق.م في المادة (١٧) بما نصه: "إذا رجل اعتدى على عذرية ابنة رجل، ووالداها ووالدتها لم يتعرفوا عليه لكنه قال للفتاة سأتزوجك؛ فيجب على والدها ووالدتها أن يزوجوها له"^(١).

غير أن الآشوريين قد تشددوا في عقوبة التفاهم مع المغتصب؛ إذا كان يُجبر هذا المغتصب نظير اغتصابه لفتاة ما بأن يقوم بتسليم زوجته لأحد الأشخاص لكي تضاعفه ولا تعود إليه كزوجة مرة أخرى ، وذلك طبقاً للمادة (٥٥) فيما نصه: "إذا اغتصب رجل عذراء وانتهكها فإن والد الفتاة يأخذ زوجة هذا المغتصب، فيسلمها لمن ينتهكها، ولا يعيدها إلى زوجها؛ بل يأخذها"^(٢).

وأما بالنسبة إلى اغتصاب الأمة فكانت القوانين أخف وطأة من نظيرتها الخاصة بالحررة المغتصبة ، إذا كان المغتصب يجبر على دفع غرامة لسيدها، ويتضح ذلك بقوانين عديدة منها ما جاء بالمادة (٥) من قانون أورنامو فيما نصه: "إذا أزال رجل بكاراً أمة رجل آخر بالإكراه؛ فعليه أن يدفع (كغرامة) خمسة شقيقات من الفضة"^(٣)، ويؤكد ذلك أيضاً ما ورد في قانون أشنونا في المادة (٣٢) فيما نصه: "إذا افتض رجل بكاراً أمة رجل آخر؛ فعليه أن يدفع ثلث منا من الفضة تعويضاً له، أما الأمة فتعود إلى سيدها"^(٤).

كذلك حاربت القوانين العراقية بجانب الاغتصاب سائر مظاهر الشذوذ الجنسي كأحد أشكال البغاء بين النساء العراقيات خاصة وأن هذه الظاهرة كانت منتشرة إلى حد ما بدليل ما عُثر عليه بعدد من اللوحات الواضحة بأماكن متفرقة لمضاجعة رجل لامرأة من الدبر وهي تشرب الخمر، ومنها على سبيل المثال تلك اللوحة التي عثر عليها في مدينة أوروك التي تعود إلى العهد البابلي القديم (٢٠٠٤-١٥٩٥ ق.م)، فضلاً عن العثور على لوحة أخرى شبيهة لها في مدينة لارسا، كما عُثر على أشكال متعددة للمضاجعة أيضاً من الدبر في مدينة خفاجة للوحة تحمل ثلاثة صور لتلك الفاحشة تبدو واضحة بالشكل (رقم ٩) (أ، ب، ج)، ومن المحتمل أن يكون هذا الشذوذ الجنسي مرتبطاً في بعض الأحيان بالمرأة ذاتها أو حتى بالرجل نفسه ، بدليل أن بعض المصادر المسمارية قد أمدتنا بكتابات عديدة تؤكد ممارسة بعض الرجال ذاتهم لتلك الفاحشة الشاذة ، منها على سبيل المثال ما ورد بكتابة تخص رجل يمارس الجنس مع امرأة من الدبر، وكان في أثناء ذلك يُكرر عبارة "القلبي للخلف"^(٥).

(1) Roth, Law Collection from Mesopotamia and Asia Minor, p.44.

(2) Roth, Law Collection from Mesopotamia and Asia Minor, pp.145-147.

(٣) فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، ص ١٧. أيضاً:

Roth, T.M., Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor, p.18.

(٤) حسين أحمد سلمان الباي، المكانة الاجتماعية والاقتصادية للإماء في العراق القديم، المؤتمر العلمي الثاني الثاني الذي يقيمه قسم التاريخ في كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة واسط بالتعاون مع قسم التاريخ في كلية العلوم الإنسانية بجامعة دهوك للفترة ١-٢ حزيران ٢٠٢٢، ص ٥.

(5) Nejat, N.K., Daily life in Ancient Mesopotamia, p.137.also:



(ج)

(ب)

(أ)

شكل رقم (٩) (١)

وتصدى المشرع العراقي لهذه الظاهرة التي تتنافى مع الطبيعة البشرية ، ولاسيما أن هناك من أدلة أثرية توضح أن المرأة كانت تنفر من تلك الممارسة الشاذة ، بدليل ما ورد في إحدى الكتابات المسمارية عن قضية تعود إلى عهد ملك أيسن "أشمي دجان" (١٩٥٣-٩٣٥ ق.م)، لامرأة تدعى "عشتارومي" حين قدمت شكوى إلى قضاة المدينة تتهم فيها زوجها بممارسة اللواط مع رجل آخر، وبعد أن استطاعت هذه الزوجة أن تثبت للقضاة بأنها شاهدت زوجها يفعل ذلك ، أصدر هؤلاء القضاة حكمهم باسم الملك بتطليق هذه المرأة، والتشنيع بالزوج وفضح امره بأن تحلق رأسه وثقب أنفه وأخذه في مسيرة على ظهر حمار بالمقلوب ، وحكم أيضاً لتلك الزوجة باستلام مهرها من ممتلكاته وتركته^(٢)، فضلاً عن ذلك فقد اكتظت التشريعات القانونية بعقوبات صارمة لتحد من هذه الظاهرة ؛ إذ ورد في المادة (١٩) من القوانين الآشورية الوسيطة ، ما نصه: "إذا اتهم رجل رجلاً آخر بممارسة اللواط ولم يثبت التهمة عليه يجب أن يضربوا هذا الرجل الذي اتهم الآخر خمسين ضربةً بقضبان، ويقوم بخدمة الملك لمدة شهرٍ كامل. ويقصون شعره وعليه أن يدفع ٣٦٠٠ شيكل من الرصاص"^(٣)، وتأكيداً لذلك أيضاً ما جاء بنفس تلك القوانين الآشورية الوسيطة في المادة (٢٠)، إذ تحدد ما يأتي: "إن عقوبة من يرتكب فعل اللواط مع جاره؛ فإذا ثبتت التهمة ضده؛ فسيفعلون به مثل ما فعل بجاره ومن ثم يخصى"^(٤).

السيد محمد السعيد عبد الله، صفحات مطوية من تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ٧٣.

(١) نقلا عن: خزعل الماجدي، متون سومر، ص ٢١٧؛ أيضاً:

Broekema, H., Inanna, lady of Heaven and Earth (History of Asumerian Goddess), p.473.

(٢) سعيدي سليم، القانون والأحوال الشخصية في كل من العراق ومصر ٢٠٥٠-٣٢٢ ق.م (دراسة تاريخية مقارنة)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، قسنطينة، ٢٠١٠، ص ٩٤؛ خزعل الماجدي، متون سومر، ص ٢٦٩.

(3) Roth, Law Collection from Mesopotamia and Asia Minor, p.159 .

(٤) عامر سليمان، القانون في العراق القديم، ص ٢٨٤. أيضاً:

رابعاً: الأعراف الاجتماعية ومحاربة البغايا:

تعد الأعراف من أهم المصادر المسمارية التي تؤكد مدى بغض العراقي القديم للبغايا والمومسات؛ ويتجلى ذلك فيما خلفه العراقي القديم من تراث ثري لمجموعة من المآثورات الشعبية التي كانت تتردد بين أبناء مجتمعة من حكم وأمثال؛ والتي أجمعت برمتها على صب اللعنات على كل امرأة تراودها نفسها لامتهان تلك الفاحشة الشنعاء والمحرمة عقائدياً لديهم، ومن بين تلك المآثورات الواردة في هذا التحريم ما ورد في المثل الذي صيغ باللغتين السومرية والأكدية، بما نصه: "من يضاجع زوجة رجل فذنبه عظيم" ^(١)، وقد وردت أيضاً أمثال وحكم عديدة في تحريم امتهان الزنا حتى لو من أجل توفير ضروريات الحياة ولقمة العيش، ومنها علي سبيل المثال ما جاء في ذلك المثل القائل: "إذا كان الطعام ملوثاً (بالزنا) بالجنس؛ فإن المرء لا يجب أن ينغمس به" ^(٢). ولم تقتصر الأعراف العراقية القديمة على محاربة سمة البغاء من خلال ما خلفته من حكم وأمثال كثيرة ومتنوعة؛ بل حثت أيضاً الرجال أنفسهم على عدم الاقتراب من البغايا والمومسات، ومن الحكم الواردة في هذا الشأن والتي تعود في زمنها إلى العصر الكاشي (١٥٩٥-١٥٧٠ ق.م)، وتحذر الرجل من انحطاط مكانته الاجتماعية ودنوها إذا ضاجع البغي أو المومس، وذلك بما نصه: "إن قضيب الزوج الخائن ليس أفضل من فرج المرأة الباغية الخائنة" ^(٣)، كما ورد أيضاً في المثل السومري ما نصه: "قضيب غير مخلص يناسب وعاء غير مخلص" ^(٤)؛ ومن أجل هذا فقد حثت تلك الأعراف الشباب بصفة خاصة بالتحلي بالأخلاق الفاضلة لتجنب هؤلاء البغايا والمومسات حتى بمجرد النظر إليهن، ويتضح ذلك فيما ورد بالحكم الآشورية التي تعود إلى الحكيم العراقي القديم "أحيقار" وزير الملك الآشوري أسرحدون (٧٠٤-٦٨١ ق.م) حينما كان ينصح ابن أخته الشاب بعدم زواجه من البغايا والمومسات اللاتي لا يعرفن - كما وصفهم هذا الحكيم - سوى الكذب والتضليل وقلب الحقائق، وذلك ينطبق مع هذا المثل العراقي القديم الذي ورد في هذا الشأن بما نصه: "كلمات المرأة المذنبة يكون لها وزن أكثر على باب بيت القاضي من زوجها" ^(٥)، ومن أجل هذا شدد الحكيم أحيقار على عدم الزواج من هؤلاء البغايا والمومسات لاقتلاعهما اجتماعياً، وورد ذلك فيما نصه: "يا بُني لا ترفع نظرك إلى امرأة متبرجة متكحلة، ولا تشتهيها في قلبك؛ لأنك إن أعطيتها كل ما ملكت يداك لن تجد فيها خيراً وتأثم بخطيئة

Roth, Law Collection from Mesopotamia and Asia Minor, p.160.

(١) محمد السيد عبد الحميد، الأخلاق في بلاد النهرين، المجلة العلمية للاتحاد العام للآثاريين العرب ٤، القاهرة، أكتوبر ٢٠١٩، ص ١٦٣.

(٢) أحمد أمين سليم، الأسرة في العراق القديم (دراسة من خلال أدب الحكم والنصائح)، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥ م، ص ٤٣.

(٣) أحمد أمين سليم، الأسرة في العراق القديم، ص ٤٣-٤٤.

(4) Stol, M., women in the Ancient Near, p.234.

(٥) علي ياسين الجبوري، الأمثال في الرسائل الآشورية الحديثة وامتدادها، أبجديات، العدد (١٣)، ٢٠١٨، ص ٣٢؛ سهيل قاشا، الحكمة السومرية في العراق القديم، ط ١، بيروت، ٢٠١١ م، ص ١٢٩.

Foster.R. B., An Anthology of Akkadian literature, p.348.

أيضاً:

الزنا، يا بُني لا تضاجع امرأة صاحبك حتى لا يضاجع آخرون امرأتك....، يا بُني لا تقرب امرأة مهذرة ولا ضحاكة^(١)، وكذلك وجه هذا الحكيم العراقي القديم إلى ابن أخيه والشباب عامة من أجل القضاء على ظاهرة البغاء والبغايا مجموعة من النصائح جاء فيها ما نصه^(٢):

- لا تتزوج المومس، فأزواجها كثيرون

- ولا بغية، فعشاقها كثيرون

- لأنها لن تساعدك في همومك

- وتسخر منك في نزاعك

- وليس عندها احترام أو طاعة

- فهي توجه كل اهتمامها لغيرك

- إنها ستمزق بيتك الذي تدخله ولا تستطيع الحفاظ على نفسك...

وأخيراً يتضح مما سبق جلياً مدى الكذب البين لتلك المزاعم والافتراءات التي حاولت النيل من المرأة العراقية القديمة ومكانتها الحضارية، باتهامها ظلماً وبهتاناً بممارسة البغاء كظاهرة عامة وشائعة وذات مسحة دينية مقدسة متوافق عليها اجتماعياً، وقد أسهمت المصادر العراقية بمختلف أنواعها بما أتاحت من حقائق تاريخية دامغة- كما أشير آنفاً- في كشف تلك المزاعم والافتراءات وتعريتها من الصحة، والمرتبطة فحواها بالميثولوجيا الدينية والتشريعات القانونية، فضلاً عن مصادر أخرى شعبية- أشير إليه آنفاً- تمثلت في الأعراف الاجتماعية، وليس معني هذا أن المجتمع العراقي القديم كان ملائكياً تخلو جنباته تماماً من مثل تلك الرذائل، ولكنه كأبي مجتمع إنساني يعاني من مثل تلك الفواحش، ولكن في نطاق ضيق ومحدود اقتصر على فئات اجتماعية لا تجد سوى الإزدراء والكراهية، ويتجلى ذلك في اسم إحدى طوائف الكاهنات المعروفة "بالكولماشيتو" التي يعني اسمها المرأة المحرومة أو المعزولة^(٣) أو في بعض الإماء التي تمارسن تلك الرذائل وكانوا يميزونه "بالأمة المومس" وذلك طبقاً لنص سومري عُثر عليه في مدينة أور^(٤).

(١) صلاح سلمان رميض الجبوري، أدب الحكمة في وادي الرافدين، مراجعة: فاضل عبد الواحد علي، بغداد، ٢٠٠٠، ص ٢٢٠-٢٢٤.

(٢) أنيس فريجة، أحيقار حكيم من الشرق الأدنى القديم، الجامعة الأمريكية ببيروت، منشورات كلية العلوم والآداب، بيروت، ١٩٦٢، ص ٦٨-٨٢؛ سهيل قاشا، الحكمة السومرية في العراق القديم، ص ١٠٠.

أيضاً: Foster.R. B., An Anthology of Akkadian literature , p.328.

(3) Black, J. and Green, A., Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, p.149.also:

أميرة عيدان الذهب، الكاهنات في العصر البابلي القديم (دراسة في ضوء النصوص المسمارية المنشورة)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٩، ص ١٣٨.

(٤) حسين أحمد سلمان الباي، المكانة الاجتماعية والاقتصادية للإماء في العراق القديم، ص ٤.

الخاتمة

يُستشف من ذلك العرض التاريخي مجموعة من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

- ١- تمثل العفة والعفاف أبرز السمات التي حرص عليها المجتمع العراقي القديم، وذلك بعكس الاقتراءات المغرضة التي ساقها بعض المؤرخين الأقدمين والمحدثين الذين حاولوا تشويه صورة المجتمع العراقي باتهامه ظلماً واقتراءً بانتشار ظاهرة البغايا وعمومها عند كل النساء العراقيات.
- ٢- يُعدّ الأدب الدينيّ بالعراق القديم من أبرز المظاهر الحضارية بالشرق الأدنى، وخصوصاً ما يتعلق بالأساطير القديمة، وبصفة خاصة أسطورة جلجامش التي تعد من روائع الأدب العالميّ التي اتسمت به الحضارة العراقية حتى وقتنا الحاضر.
- ٣- المجتمع العراقي القديم ليس مجتمعاً ملائكياً يخلو من الرذائل شأنه في ذلك شأن أيّ مجتمع قديم آخر أو حتى حديث، ولكن ليس معني وجود مجموعة محدودة من البغايا في هذا المجتمع الحضاري المتميز أن يُوصف بذلك بكونها ظاهرة عامة.
- ٤- إنّ محاولة تشويه المجتمعات الشرقية أمر قديم، فمثلما تتعرض تلك المجتمعات حالياً لهجوم شرس من كُتّاب الغرب؛ فقد تعرضت في الماضي الحضارات القديمة هناك رغم رقيها الحضاري لهجمات شنها كثير من المؤرخين وبخاصة الكلاسيكيون فما أشبه الماضي بالحاضر.
- ٥- تعد القوانين العراقية القديمة من أبرز التشريعات البشرية بسائر حضارات العالم القديم بصفة عامة، فضلاً عن كونها مرآة صادقة لطبيعة الحياة بذلك المجتمع العراقي القديم.
- ٦- يجب اتباع الحذر والتدقيق عند استخدام المصادر الكلاسيكية القديمة لما بها من معلومات مغلوطة لا تتسم بالموضوعية الكافية، وبخاصة كتابات هيرودوت المرتبطة بحضارات الشرق الأدنى القديم؛ فقد قام بتشويه الحضارة العراقية، وحاول كذلك تشويه الحضارة المصرية، وتشويه مجتمعات شرقية أخرى في الشمال الإفريقي، بزعم أنه قد زارها كشاهد عيان.

قائمة الاختصارات

- ANET** = The Ancient Near East : An Anthology of Texts and Pictures, Princeton University Press.
- JAOS** = Journal of The American Oriental Society, American Oriental Society.
- JCS** = Journal of Cuneiform Studies, The American Schools of Oriental Research .
- DWDO** = *Die Welt des Orients*.
- JII** = Journal of Linguistics and Literature .
- JANER** = Journal of Ancient Near Eastern Religions .
- ASOR** = The American schools of oriental Research.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع والدوريات العربية والمعرية والرسائل العلمية:

- القرآن الكريم:
- أحمد أمين سليم، الأسرة في العراق القديم (دراسة من خلال أدب الحكم والنصائح)، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥ م.
- أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: تحقيق: عبد العظيم الشناوي، ط٣، دار المعارف، مصر، ٢٠١٩.
- أحمد ناجي السبع، حقيقة الزواج المقدس (البغاء المقدس) في بلاد الرافدين، مجلة الدراسات في التاريخ والآثار، كلية الآداب، العدد (٥٦)، ٢٠١٦ م.
- أدونيس، ديوان الأساطير (سومر وأكاد وأشور) الكتاب الأول، نقله إلى العربية وعلق عليه: قاسم الشواف، ط١، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٦.
- أميرة عيدان الذهب، الكاهنات في العصر البابلي القديم (دراسة في ضوء النصوص المسمارية المنشورة)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٩.
- السيد محمد السعيد عبد الله، صفحات مطوية من تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الحكمة، القاهرة، ٢٠١٩ م.
- أنيس فريحة، أحيقار حكيم من الشرق الأدنى القديم، الجامعة الأمريكية ببيروت، منشورات كلية العلوم والآداب، بيروت، ١٩٦٢.
- برهان الدين دلو، حضارة مصر والعراق (التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي)، ط١، بيروت، ١٩٨٩.
- ثروت عكاشة، تاريخ الفن (الفن العراقي القديم سومر وبابل وأشور)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بغداد، ١٩٧١.
- جمعة الطلبي، السومريون المعلمون الأوائل، ط١، العراق - بغداد، يناير - ٢٠٢٢ م.
- حسين أحمد سلمان الباي، المكانة الاجتماعية والاقتصادية للإماء في العراق القديم، المؤتمر العلمي الثاني الذي يقيمه قسم التاريخ في كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة واسط بالتعاون مع قسم التاريخ في كلية العلوم الإنسانية بجامعة دهوك للفترة ١-٢ حزيران ٢٠٢٢.
- حكمت بشير الأسود، الرقم سبعة في حضارات بلاد الرافدين القديمة، دمشق، ٢٠٠٧.
- خزعل الماجدي، متون سومر (الكتاب الأول التاريخ الميثولوجيا اللاهوت الطقوس)، ط١، عمان، ١٩٩٨ م.
- خمائل شاكر أبو خضير، مبدأ العدل في القوانين العراقية القديمة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية الأساسية، ٢٠٢٠ م.

- دعاء محسن علي اللامي، حقوق المرأة ومكانتها في مجتمع العراق القديم، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، المجلد (٨) العدد (٤)، ٢٠١٨.
- رضا جواد الهاشمي، القانون والأحوال الشخصية، حضارة العراق، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٨٥م.
- رضا جواد الهاشمي، النظام الكهنوتي في العراق القديم، مجلة الآداب، المجلد الأول، العدد (١٤)، بغداد، ١٩٧٢.
- رقيب حسيب، دور المرأة في المجتمع العراقي القديم، مجلة الخليج العربي، المجلد (٥٠)، العدد (٤)، كانون الأول، ٢٠٢٢م.
- سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، بيروت، ٢٠١٣م.
- سامي سعيد الأحمد، تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٥.
- سبتينو موسكاني، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، راجعه الدكتور: محمد القصاص، دار الرقي، بيروت، ١٩٨٦.
- ستيفاني دالي، أساطير من بلاد ما بين النهرين (الخليقة، الطوفان، كاكاش وغيرها)، ترجمة: نجوى نصر، ط١، بيروت، ١٩٩٧.
- سعدي سليم، القانون والأحوال الشخصية في كل من العراق ومصر ٢٠٥٠-٣٢٢ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر قسطنطينية، ٢٠١٠.
- سليمان طه التكريتي، أساطير بابلية، مراجعة: زكي الجابر، بغداد، ١٩٧٢.
- سمير العيداني، جغرافية بلاد ما بين النهرين من خلال المصادر الكتابية المحلية (بيروسوس) والإغريقية (هيرودوت وزينفون) دراسة مقارنة، المجلد (٣)، العدد (١)، المجلة التاريخية الجزائرية، ٢٠١٩.
- سهيل قاشا، الحكمة السومرية في العراق القديم، ط١، بيروت، ٢٠١١م.
- سيتون لويد، آثار بلاد النهرين (من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي)، ترجمة: محمد طلب، ط١، دمشق، ١٩٩٣م.
- صلاح سلمان رميض الجبوري، أدب الحكمة في وادي الرافدين، مراجعة: فاضل عبد الواحد علي، بغداد، ٢٠٠٠.
- صمويل كريم، طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ترجمة: نهاد خياطة، ط٢، دمشق، ١٩٩٣.
- صمويل كريم، من ألواح سومر، ترجمة: طه باقر، مراجعة وتقديم: أحمد فخري، بغداد، ١٩٩٦.
- طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، بغداد، ١٩٧٦.
- عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم (موجز التاريخ الحضاري) الجزء الثاني، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩٣.

- عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم (موجز التاريخ السياسي)، ج ١، الموصل، ٢٠١٠ م.
- عامر سليمان، القانون في العراق القديم (دراسة تاريخية قانونية مقارنة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٧ م.
- علي القيم، المرأة في حضارات الشام القديمة، ط ٢، دمشق، ١٩٩٧.
- علي ياسين الجبوري، الأمثال في الرسائل الآشورية الحديثة وامتدادها، أبجديات، العدد (١٣)، ٢٠١٨.
- فاضل عبد الواحد علي، "الأعياد والاحتفالات"، حضارة العراق، ج ١، بغداد، ١٩٨٥.
- فاضل عبد الواحد علي، أسطورة وملحمة، دار الشؤون الثقافية، جروس-برس، ٢٠٠٠ م.
- فاضل عبد الواحد علي، عشتار ومأساة ديموزي، ط ١، دمشق، ١٩٩٩ م.
- فاضل عبد الواحد علي، من سومر إلى التوراة، ط ٢، ١٩٩٦.
- فراس السواح، الأسطورة والمعنى، ط ٢، دمشق، ٢٠٠١.
- فراس السواح، لغز عشتار (الآلهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة)، ط ٨، دمشق، ٢٠٠٢ م.
- فراس السواح، مدخل إلى نصوص الشرق القديم، دمشق، ٢٠٠٦.
- فراس السواح، مغامرة العقل الأولى (دراسة في الأسطورة سوريا-أرض الرافدين)، ط ١١، دمشق، ١٩٩٦ م.
- فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، الجمهورية العراقية، مديرية الثقافة العامة، (د-ت).
- فوزي رشيد، المعتقدات الدينية، حضارة العراق، الجزء الأول، بغداد، ١٩٨٥.
- قيس حاتم هاني الجنابي، روايات هيرودوت عن بابل وآشور (دراسة تاريخية وتحليلية)، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد (٢٥)، السنة التاسعة، تشرين الثاني، ٢٠١٦ م.
- ل. ديلايورث، بلاد ما بين النهرين (الحضارتان البابلية والآشورية)، ترجمة: محرم كمال، مراجعة: د/ عبد المنعم أبو بكر، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧.
- محمد السيد عبد الحميد، "وظيفة الكاهنة ودورها في المجتمع العراقي القديم"، الملتقى الرابع للآثاريين العرب، ٢٧-٢٩ أكتوبر، القاهرة، ٢٠٠١ م.
- محمد السيد عبد الحميد، الأخلاق في بلاد النهرين، المجلة العلمية للاتحاد العام للآثاريين العرب ٤، القاهرة، أكتوبر ٢٠١٩.
- محمد الشحات شاهين، "الحزن والحداد في تراث العراق القديم"، مجلة المتحف المصري، العدد (٥)، ٢٠٠٨.
- محمد بن مكرم بن علي بن منظور المصري الإفريقي، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، المجلد (١)، دار المعارف، مصر، (د-ت).
- محمد فهد حسين القيسي، التفكك الأسري عند الآلهة في العراق القديم، جامعة واسط، كلية التربية للعلوم الإنسانية، المجلد (١٥)، العدد (٤٤)، ٢٠١٩.

- **محمد مرتضى الحسيني الزبيدي**، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، ج١٩، إصدار: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ١٩٨٠.
- **محمود الأمين**، شريعة حمورابي، تقديم: الأب سهيل شاقا، ط١، لندن، ٢٠٠٧.

ثانياً: المصادر والمراجع الأجنبية:

- **Burstein .M,S.**,The babyloniaca of berossus , (sources and monographs),sources from the ancient near east, vol.1, fascicle.5, undena publication,Malibu , 1978.
- **Bill,t.A.**, Who Were the BaBylonians? , "Archaeology and Biblical Studies" , Boston, 2005.
- **Black, J.** and Green, A., Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, British Museum Press, 1992.
- **Black, J.** and Green, A., The Literature of Ancient Sumer , oxford university, New York , 2004.
- **Broekema, H .**, Inanna, lady of Heaven and Earh (History of Asumerian Goddess),publisher. uitgeverij Elikser, Leeuwarden, 2014.
- **Cooley ,J .L .**, "Early Mesopotamian Astral science and Divination in the Myth of Inana and Sukaletuda " , JANER 8/1 , part II ,2008.
- **Dijk,V.**, Combes, R. M., " Lady of battle, his beloved spouse", DWDO, Bd. 50, H. 1, 2020.
- **Foster,R. B.**, An Anthology of Akkadian literature ,vol.1, CDL press, Bethesda,Maryland,1996.
- **Gale , T.H.**, "The Epic of Gilgamesh" , Literature and its times 6 ,2004.
- **Garini,S.A.**, "Comparative Analysis on the Epic of Gilgamesh and Aphrodite and Hippolytus and the difference on Death betweenEastern and Western view" , JII .1 , No .1 ,2017.
- **GREEN , A.**, Sumerian Gods., " Myths in Mesopotamian Art",Siyx Publications Groningen,1997.
- **Harris , R.**, on the process of secularization under Hammurapi, A S O R , vol.15 , No. 4 .
- **Heidel, A .**, The Gamesh Epic and old testament parallels , Chicago press , London,1949.
- **Herodotus, Translated by Godley, A.D.** ,vol. I, BK. I, No. 181, London, 1975.
- **Herodotus, Translated by Godley, A.D.** ,vol. I, BK. I, No. 188, London, 1975.
- **Hunt ,N. B .**, living in Ancient Mesopotamia, New york , 2009.
- **Jones, P.**, "Embracing Inana : Legitimation and Mediation in the Ancient Mesopotamian Sacred Marriage Hymn Iddin-Dagan A", JAOS, vol. 123, N.2, (Apr.Jun. 2003).
- **Kaur , J.**, Ancient Mesopotamia , Remjas Collage , Delhi , 2020.
- **Kramer, S.N.**, " Sumerian Mythology, New York, 1961.
- **Kramer, S.N.**, "Inanna and Sulgi: A Sumerian Fertility Song", Iraq, vol. 31, No. I, British Institute for the study of Iraq, (Spring 1969).

- **Kramer, S.N.**, "Mythology of Sumer and Akkad", Mythologies of the Ancient World, New York, 1961.
- **Kramer, S.N.**, The Sumerians , Their History , Culture and Character, Chicago press , London , 1963.
- **Kramer, S.N.**, the Sumerians, 2nd. ed. , Chicago,1964.
- **Kubrt, A.**, The Ancient Near East: c.3000-330 BC, vol.I, London, 1995.
- **laoutides,E.A.**, Charles,M.B., "Herodotus on Sacred Marriage and Sacred prostitution at Babylon", Kernos Revue international et pluridisciplinaire de religion grecque antique ,Varia, 2018.
- **Luckenbill, D.D.**, "Women of the code of Hammurabi" , the American Journal of semitic languages and literatures, Vol.34, No.1(oct., 1917).
- **Macaulay , G.C.**, The History of Herodotus , Vol .1,New York , 2001.
- **Meek, J.**, "The Code of Hammurabi", ANET, 1958.
- **Nejat, K.R.**, Daily life in Ancient Mesopotamia, London, 1998.
- **Nowicki , S .**, "Women and References to women in Mesopotamian Royal inscriptions": An overview from the Early Dynastic to the End of UR 111 period,vol. 4, 2016.
- **paul, C .**, the sumerians (lost civilizations), London,2021.
- **Roth,T.M.**, Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor ,Scholars press, Atlanta, Georgia,1995.
- **Rubio, G.**, " Inanna and Dumuzi : A Sumerian Love Story ", JAOS, vol. 121, No. 2,(Apr. - Jun.2001).
- **Stol , M.**,women in the Ancient Near , Boston –Berlin, 2016.
- **Stuckey, J.**, Inanna and the "Sacred Marriage" , Cross- Quarterly for the Goddess Woman, vol.4-2,2005.
- **Walker, C.B.F.**, "Another Babati Inscription", JCS, vol. 35, No. 1/2 (Jan.-Apr. 1983).
- **Weeden,M.**, types of lover and types of love-poetry in Akkadian from the third and Second millennia BC, SOAS, London, 2011.
- **Westenholz, J.G.** , "Goddesses of the Ancient Near East 3000-1000 BC.," Ancient Goddesses, British Museum Press, 1998.
- **William W. Hallo and J.J.A.van dijk.**, The Exaltation of Inann, Yale university press, New Haven and London,1968.
- **Woolley, L.**, Exacavations at Ur, London, 1954.
- **Yoffee ,N.**, political Economy in Early Mesoptamian States , Annual Review of Anthropology, vol . 24,1995 .